الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية
(أهميته ـ مصطلحاته ـ أغراضه)

الدكتور عبد الفتّاح محمد*

الملخص

هذا بحث في اللغة يتناول ظاهرة البناء للمجهول في اللغة العربية، وقد تكون من مقدمة، وثلاث قضايا أساسية هي: أهمية الفعل المبني للمجهول، ومصطلحاته، وأغراضه.

فأما ما يتصل بالمقدمة فهي تطرح مسألة مفادها أن ظاهرة البناء للمجهول ظاهرة ذات خصوصية في لغة الضاد، في مصطلحاتها، وانتشارها، وتطورها وانحسارها، وأنها ظاهرة سامية، غير أن اللغات السامية تتباين فيما بينها في الاحتفاظ بها والإفادة منها.

وأما ما يخص أهمية الفعل في اللغة، فقد تضمن الحديث عن هذه القضية التدليل على أن الفعل مادة مهمة في بناء الجملة، وأنه من لوازم كل لغة راقية، لأنه مصدر التعبير عن أفكار المتحدثين، وأن العربية لغة غنية بمفردات الأفعال عامة، ومفردات الأفعال المبنية للمجهول خاصة، وهذا الغنى ينوع معاني الفعل تنويعاً لا نظير له في سائر اللغات السامية شقيقات العربية.

وأما ما يتصل بمصطلحات هذه الظاهرة، فقد تم رصد المصطلحات الدالة على هذه الظاهرة لدى عدد من أهل العلم كسيبويه والفراء والأخفش الأوسط، وابن

---

* قسم اللغة العربية- كلية الآداب ـ جامعة البعث

السراج، والنحاس وغيرهم، وتبين أنهم أكثروا من استخدام المصطلحات الدالة على الفعل، فقد أنافت على عشرة مصطلحات منها (مالم يسم فاعله) و(المبني للمفعول) و(المبني للمجهول)، كما أكثروا من المصطلحات التي دلت على نائب الفاعل، فقد أربت على عشرة منها: (مفعول ما لم يسم فاعله) و(اسم ما لم يسم فاعله) و(القائم مقام الفاعل)، وقد تمت مناقشة عدد من الآراء التي تتصل بتأصيل هذه المصطلحات.

وأما ما يتعلق بأغراض الفعل المبني للمجهول فقد جرى الحديث عن الغرض من الفعل وهو ما قُصِد حصول منه، وعن الأغراض التي ذكرها النحاة، ومنها إصلاح السجع، وإقامة وزن الشعر، والإيجاز، والجهل بالفاعل، والعلم به.. وعن الأغراض التي لاحظها البلاغيون والمفسرون واللغويون ومنها دلالة الفعل المجهول على التعدد، والتعميم،والتهويل والاستمرارية، والتنبيه والإنكار.. وغير هذا من أغراض، مع مناقشة ما تلزم مناقشته.

وختم البحث بذكر أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

مقدمة:

الفعل المبني للمجهول في اللغة العربية ظاهرة لغوية ذات خصوصية في مصطلحاتها، وانتشارها، وتطورها، وانحسارها... ووجود هذه الظاهرة لا يقتصر على العربية فحسب، بل إنها ظاهرة سامية، وإن كانت اللغات السامية تتباين فيما بينها فيها، ولاسيما في الاحتفاظ بها، وفي الإفادة منها.

يمكن بصفة عامة رصد اتجاهين لهذه الظاهرة في اللغة العربية، الأول منهما أن صيغ المبني للمجهول تلاشت، أو كادت تتلاشى في لهجات العامة، ونابت منابها في التعبير بعض صيغ المطاوعة. وأما الثاني منهما فهو أن اللغة العربية الفصحى استطاعت بفعل عوامل كثيرة أن تحتفظ بهذه الظاهرة وأن تنميها على نحو متفرد إذا ما قورنت بأخواتها الساميات، كما أن العربية استطاعت أن تفيد منها في التعبير إلى حد بعيد.

صحيح أن هذه الظاهرة تتبدى في معاجم اللغة على نحو تكون فيه أقرب إلى الهيكل العظمي للغة، ولكن الصحيح أيضاً أنها تتبدى في النصوص الفصيحة الحية ولاسيما القرآن الكريم على نحو تظهر فيه قدرة العربية الفائقة على استخدام الفعل المبني للمجهول ضمن أساليب دقيقة مع تأدية وظيفتين في آن واحد؛ وظيفة تعبيرية، وهي ركن أساسي في المرسلة اللغوية، ووظيفة فنية جمالية..، وفي هذه وتلك دليل ساطع على حيوية اللغة العربية وثرائها، ورد بين على من اتّهم كفاية هذه اللغة في الوفاء بمتطلبات التعبير، ويصح في هذه الظاهرة ما صح في غيرها من الظواهر، بأنه ما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها، ونضجت في تطورها كما في لغتنا بعد هذا التقدم المتطاول من أقدم العصور[1].

وإنني لأميل إلى الاعتقاد أن هذه الظاهرة بما فيها من قضايا سبقت الإشارة إلى بعضها يتطلب إجراء سلسلة من البحوث العلمية الجادة التي تفيد من جهود أهل

---

[1] أشتات مجتمعات 26 ـ 27.

العربية القدامى، كما تفيد مما استجد في الدرس اللغوي المعاصر, وإنني لأرجو أن يكون هذا البحث حلقة أولى، ويحدوني أمل في أن يسعفني الوقت والجهد في إكمال ما بدأت به بعد أن تيسر لي جمع مادة علمية أعتقد أنها مفيدة فيما هدفت إليه.

وهذا البحث يتكون من ثلاثة أقسام هي:

1. الفعل المبني للمجهول في اللغات السامية، ولغات العامة.
2. مصطلحاته.
3. أغراضه.

- وقبل الشروع في تناول كل قسم أوجز القول في تعريف الفعل وأهميته.

الفعل تعريفه وأهميته:

الفعل لغةً تأثير من جهة مؤثر، والعمل مثله، والصنع أخص منهما[2], **والفعل اصطلاحاً: كل كلمة تدل على نفسها مقترنة بزمان.** والفعل في اللغة صاحب العمل، وهو عامل قوي، وهو مادة مهمة في بناء الجملة، قال ابن القوطية (ت367 هـ): "اعلم أن الأفعال أصول مباني أكثر الكلام، ولذلك سمتها العلماء الأبنية[3]"، والفعل يعيد تنظيم العلاقة بينه وبين العناصر الأخرى لموافقة الحالة، وهو من لوازم اللغة عامة، ومن لوازم كل لغة راقية على وجه الخصوص، فهو مصدر التعبير عن أفكار المتحدثين بهذه اللغة، وهو اللفظ الذي يصور النشاط والحركة، وكلّ ما تموج به حياة البشر من فكر ووجدان، واللغات البدائية التي لا تتعدد فيها صور الحياة تعتمد على الأسماء، وتستعين بقدر قليل من الأفعال، وحين يرتفع مستوى تفكيرها وتحتاج إلى مزيد من التمييز بين صور نشاطها تستعين عندئذ بإضافة ألفاظ إلى مجموعة الأفعال لديها، ألفاظ تعدل معاني هذه الأفعال وتنوع دلالاتها،.. ومن أمثلة ذلك الأفعال التي

---

[2] المفردات 82.
[3] الأفعال 1/ 5ـ6 , وانظر معجم المعاجم 257 , وما بعدها ,فقد ذكر 27 مصنفا في الأفعال.

تنتمي إلى أصل أنكلوسكسوني في اللغة الإنكليزية قبل أن تثرى هذه اللغة بالأفعال التي استعارتها من اللغتين اللاتينية واليونانية[4].

كذلك فإن ثراء أية لغة بالأفعال المبنية للمجهول دليل على رقيها وحيويتها لما تؤديه هذه الأفعال من أغراض تعبيرية دقيقة يحتاج إليها الإنسان في تطور حياته، وبالمقابل فإن قلة هذه الأفعال، أو انعدامها، أو انحسارها دليل فقر وتراجع. واللغة العربية غنية بمفردات الأفعال، وقد شهد بذلك بعض أهل العلم باللغات السامية من المستشرقين، وذكر أن هذا الغنى بنوع معاني الفعل أكثر بكثير مما يوجد في أية لغة كانت من سائر اللغات السامية على ما سوف نبين.

أما من حيث تعريف الفعل المبني للمجهول فما جاء عن النحاة يكاد يقتصر على ما ذكره الزمخشري (ت 538هـ) وهو قوله: "**هو ما استغنى عن فاعله، فأقيم المفعول مقامه، وأسند إليه معدولاً عن صيغة (فَعلَ) إلى (فُعِلَ)، ويسمى فعل ما لم يسم فاعله[5]**"، وهذا التعريف ليس جامعاً ولا مانعاً من وجوه:

الأول: أن الظرف والجار والمجرور قد ينوبان مناب الفاعل، ولا تقتصر النيابة على المفعول وحده.

الثاني: ثمة أفعال ملازمة للبناء للمجهول نحو نُخِي زيد، ولا يقال: نخاه كذا, ولا يصح فيها أن يقال: إنها معدولة عن (فَعلَ).

الثالث: أن لهذا الفعل مصطلحات كثيرة تدل عليه - كما سوف نبين - ولا يقتصر تسميته على "مالم يسم فاعله".

ويلاحظ أن وزن (فُعِلَ) الثلاثي الذي خُص به المبني للمجهول وزن ثقيل، وقد علل الرضي (ت686 هـ) استعمال هذا الوزن الثقيل فقال: "وإنما اختير هذا الوزن الثقيل دون المبني للفاعل لكونه أقل استعمالاً", كما يرى أن هذا الوزن الثقيل خُص

---

[4] انظر: الأفعال للسرقسطي 1 /3.

[5] المفصل 258 ـ 259 , وشرح المفصل 7 /69.

بمعنى غريب في باب الأفعال، وقد عبر عن ذلك بقوله: "وإنما غُير الثلاثي إلى وزن (فُعِلَ) دون سائر الأوزان لكون معناه غريباً في الأفعال، إذ الفعل من ضرورة معناه ما يقوم به[6]" .

ويضيف بعض المحدثين تعليلاً آخر لاختيار هذا الوزن فيرى بارتين (Bartin)أن صوت الضم الذي اختير يعبر عن قوة البناء للمجهول في الفعل، وتعود أهميته إلى صوته المبهم أو الغامض، وقد احتفظ البناء للمعلوم بالصوت الواضح، والأكثر بساطة وهو الفتحة[7].

ولا ريب في أن هذا الذي ذُكر يسهم في تعليل استعمال المبني للمجهول وثقله، وغرابته وقوته، ومما يسهم في تعليل استعماله على ما فيه لجوء اللغة إلى ما يسمى بـ (أمن اللبس) ذلك أن " للغة نظاماً تنعيمياً معيناً يتكون من وظائف وعلامات، ويشترط في هذه العلامات من التخالف والتباين وما يشترط في غيرها من أصوات أو حروف أو مقاطع، وهذا التخالف أو التباين هو الضمان الوحيد لأمن اللبس في الكلام[8]" .

الفعل المبني للمجهول في اللغات السامية ولغات العامة:

الدراسات التي تناولت الفعل المبني للمجهول من وجهة نظر مقارنة قليلة في حدود اطلاعي ـ وأغلب هذه الدراسات أجراها مستشرقون لهم عناية ودراية باللغات السامية، وهي دراسات لا تخلو من فائدة ولاسيما أنها تقدم فكرة مقارنة عن ظاهرة البناء للمجهول انتشاراً أو انحساراً، غنى أو فقراً، نماء أو اضمحلالاً.

وقد فرق الدارسون بين شعبتين من اللغات السامية:

---

[6] شرح الكافية 4 /129.

[7] Bartin, G., Suggestion on the voice formation of the sematic verb in journal of royal Asiatic society, volume 50, 1883, p 413.

[8] مجلة كلية دار العلوم ,جامعة القاهرة ـ لعام 1973, ص129 من بحث (أمن اللبس) للدكتور تمام حسان.

- شعبة لا تعرف ظاهرة البناء المبني للمجهول، وهي الأكادية والجعزية والعربية الجنوبية.
- وشعبة تعرف هذه الظاهرة، وهي اللغات السامية الغربية، كاللغة العربية، واللغة العبرية القديمة والوسطى[9].

ويذكر أندرسون (Anderson) أن أفعال البناء للمجهول من ابتكار السامية الغربية، وأن الأوغاريتية فيها آثار من المبني للمجهول، وهو الفعل (qutile) (قُتِل)، ويذكر أن صيغة البناء للمجهول في اللغة العربية تتضمن تحولاً من الفتحة القصيرة في الفاء والعين إلى ضم فكسر، وأما في اللغة العبرية فتكون فاء الفعل مضمومة، وعلى العين فتحة قصيرة، ويخلص بعد ذلك إلى نتيجة مفادها أن الضمة تميز البناء للمجهول في العربية والعبرية والأوغاريتية. كما يذكر أن اللغة الآرامية تنهج النهج ذاته، فهي تستعمل صيغ المبني للمجهول عندما يكون الفاعل غير محدد، أو ليس المقصود من التعبير الدلالي[10] .

أما (إسرائيل ولفنسون) فإنه يضيف إلى القائمة اللغة المؤابية، ويذكر أن البابلية لا يظهر فيها المبني للمجهول إلا في بعض الصيغ النادرة.[11]

ويعرض بروكلمان لهذه الظاهرة فيذكر أن الآشورية تحتفظ بآثار للمبني للمجهول تجلى ذلك في رسائل (تل العمارنة). ويذكر أيضاً أن المبني للمجهول مفقود في اللغة الحبشية ولا أثر له[12].

مما تقدم يتبين أن اللغات السامية ليست على حال واحدة إزاء الفعل المبني للمجهول، بل يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي:

1ـ قسم منها ثري بصيغ أفعال المبني للمجهول كالعربية والعبرية القديمة.

2ـ وقسم فيه آثار قليلة من تلك الصيغ، كالبابلية والأوغاريتية.

3ـ وقسم خلا من صيغ البناء للمجهول، كاللغات اليمنية القديمة، واللغات السامية- الحبشية.

---

[9] Gan Restes. Diatheais in the semitic linguistic.1996p95

[10] Lcyrs. H. Gordon. Ugartic verlt book room 1995.p37

[11] فقه اللغات السامية 111.

[12] انظر تفصيل هذا في:فقه اللغات السامية بروكلمان 123, 133, والمدخل إلى علم اللغة 229- 240.

هذا ما يتعلق بوجود هذه الظاهرة، أما ما يتعلق بتطورها فيكاد الحديث عنه ينحصر في أمور ثلاثة هي:

أ. احتفاظ اللغة بالظاهرة مع نمائها أو اضمحلالها كلياً أو جزئياً.

ب. تطور صيغ المبني للمجهول.

ج. الاستعاضة عن صيغ المجهول بصيغة أو أكثر من صيغ المطاوعة.

وأهل العلم باللغات السامية يذكرون أن اللغة العربية احتفظت بالأصول من صيغ المبني للمجهول، وليس الأمر كذلك في اللغات السامية الأخرى، وللتدليل على هذا نورد بعض صيغ المبني للمجهول، ونقارنها بنظيرتها في اللغة العبرية.

*** صيغة فُعلَ:**

تبين من مقارنة صيغة (فُعلَ) العربية بنظيرتها العبرية أن "الصيغة العربية (فُعلَ) تمثل الوضع الأصلي لصيغة المبني للمجهول من وزن المبالغة المضعف[13]" في حين أن التطور أصاب الصيغة العبرية من جانبين:

الأول: أنها حركت ما قبل الآخر بالفتحة، وقياس حركته في هذه الصيغة هي كسر ما قبل الآخر.

الثاني: أن العبرية أسقطت حركة البناء من آخر الفعل[14].

*** صيغة أُفْعِلَ:**

تحتفظ العربية بصيغة (أُفْعِلَ) على هذا النحو، أما العبرية فإنها تبدل مكان الهمزة هاءً، وهي لا تميل إلى الضم الخالص في هاء (هفعل)، والكسرة قبل الآخر غُيرت إلى الفتحة، مع أنها في الأصل محولة عن الفتحة[15].

*** صيغة تُفُعلَ:**

---

[13] الفعل دراسة مقارنة 150 ـ 151.

[14] الفعل دراسة مقارنة 150 ـ 151.

[15] الفعل دراسة مقارنة 159ـ 160.

احتفظت اللغة العربية بالوزن على أصله، إلا في بعض المواضع من القرآن الكريم، أما في العبرية فقد حدثت فيه خطوات تطورية[16].

صيغتا انفعل وافتعل:

إن العربية تصوغ المبني للمجهول من أوزان الافتعال والانفعال[17], أما في العبرية ولاسيما الحديثة فإن الصيغة الأصلية للمبني للمجهول (فُعِلَ) ضاعت ونابت عنها صيغة الانفعال[18].

مما تقدم يتبين أن اللغة العربية انمازت من اللغات السامية في ظاهرة المبني للمجهول ثراء، واحتفاظاً بالصيغ، وذلك بفعل عوامل كثيرة، يأتي في أولها أن العربية غدت لسان القرآن الكريم الذي كفل للعربية حفظها وانتشارها[19].

والعربية الفصحى تنطوي في ظاهرة المبني للمجهول على خصائص لم تشركها فيها أية لغة سامية، فقد لاحظ بعض المستشرقين أنه " قد يسند فعل ما لم يسم فاعله في بعض الأوقات إلى ما لم يكن مفعولاً، بل كان منصوباً غير مفعول نحو: **سير فرسخان، وأصلها ساروا فرسخين، وصيم رمضان، وأصلها: صاموا رمضان،** ولانظير لذلك في غير العربية[20]".

وهذا التفرد يفسره أحد احتمالين:

الأول: أن يكون ذلك ظاهرة قديمة هي من مقومات اللسان السامي الأول، ومثاله احتفاظ العربية بأصوات ليست في شقيقاتها وهي ما زاد على أبجد هوز **حطي كلمن سعفص قرشت**

الثاني: أن هذا التفرد ناتج عن نمو ونضج وتطور، يؤنس في هذا أنه: "ما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تابعت نموها ونضجها في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية... في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولامتناسق في

---

[16] الفعل دراسة مقارنة 162ـ 163.

[17] المدخل إلى علم اللغة 229ـ 240.

[18] المدخل إلى علم اللغة 229ـ 240.

[19] دراسات مقارنة بين العربية و العبرية 39.

[20] انظر: بحوث لغوية 35.

مواضعه، ولم يبلغ قط مبلغ القانون الذي نعرف فيه حدود الاطراد، وحدود الاستثناء[21]".

وثراء العربية بهذه الظاهرة لا يتجلى من خلال مقارنة العربية بأخواتها الساميات فحسب، بل يتجلى أيضاً عند مقابلة هذه الظاهرة بما في اللغات التي تنتمي إلى فصائل أخرى كبعض اللغات الهندية ـ الأوربية، فقد ذكر(برجشتراسر) أن "حذف الفاعل عند نقل الجملة إلى ما لم يسم فاعله هو الأصل في اللغات السامية، بخلاف اللغات الهندية الإيرانية والغربية، ونرى أن الفاعل لا يحذف عند النقل إلى ما يسمى بصيغة التأثر.. وقد يوجد ذلك في اللغات السامية وأكثر ذلك في الآرامية[22]".

والبناء للمجهول لا يقتصر في اللغة العربية على تغيير شكل الفعل في التركيب، أو إنقاص عدد وحداته اللغوية فحسب، ولكن ينتقل التأثير إلى الفعل نفسه، فاللغة العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل الثلاثي، والفعل الرباعي،أو الخماسي، أو الفعل المزيد على الجملة ولكن اللغات الأخرى تدل على المبني للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين[23]".

المبني للمجهول في لغات العامة:

إذا كانت ظاهرة البناء للمجهول في العربية الفصحى على النحو الذي عرفنا من قبل، فإن حال هذه الظاهرة في لغات العامة ليست كذلك، فقد كانت أكثر عرضة للتطور والتأثّر، إذ "اعتراها في أغلبها – ما اعترى اللغات السامية، وأقصد ضياع المبني للمجهول، وهي صيغة (فُعِلَ) فقد نابت عنها في لغات العامة (انفعل) مثل:(انكتب) أو(انفهم)... أو صيغة(اتْفَعَلَ) مثل:(اتقتل) و(اترمى)،بدلاً من(قُتِلَ)

---

[21] اشتات مجتمعات 26ـ27.
[22] التطور النحوي 90ـ91.
[23] اشتات مجتمعات 62ـ63.

و(رمِي) حيث إننا نجد الصيغة الأولى في العبرية، وأما الصيغة الثانية فتوجد في الآرامية على وزن (اتْفَعَلَ) مثل: (اتقتل) بمعنى (قُتِلَ)[24]".

ما تقدم لا يعني بحال من الأحوال أن اللغة العربية الفصحى لم تشهد تطوراً في صيغ المبني للمجهول بل يمكن للباحث أن يقف على بعض مظاهر التطور، من ذلك ما عزي إلى تميم وقيس وأسد وبكر وربيعة من حذف حركة الثاني من (فُعِلَ)، فتقول (فُصْد)، و(عصْر)، وتريد: (فُصِد)، و(عصِر)، يقول سيبويه: " وكرهوا في (عصِر) الكسرة بعد الضمة، كما يكرهون الواو مع الياء في مواضع، فكرهوا أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال[25]" ويذكر ابن جني نهجاً آخر متطوراً في المبني للمجهول، وهو أن بعض العرب كان يقول في مثَلٍ لهم: **"لم يحْرم من فُزْد له، أي فُصِد له، وهذا من باب تقريب الحرف من الحرف"[26].**

تأصيل المصطلح:

لم أجد في البحوث والدراسات التي عنيت بالفعل المبني للمجهول من يؤصل لمصطلحات هذه الظاهرة تأصيلاً علمياً قائماً على الاستقراء الدقيق والتتبع المتأني، بل إن بعض النتائج التي ذكرت في هذا المنحى كانت مبنية على استقراء ناقص، وكانت مجانبة للصواب على ما سوف نبين.

تستند هذه الظاهرة في اللغة العربية على مفهومين هما: الفعل، والنائب عن الفاعل، وقد جرى التعبير عن هذين المفهومين بطرق كثيرة، وكثرتها لافتة للنظر، وقد رأيت من المناسب أن أبحث عن المصطلح في آثار بعض النحويين واللغويين والبلاغيين والمفسرين، ولاسيما عند أولئك الذين نجد في أقوالهم ما يفيد في رصد مصطلحات هذه الظاهرة، وفي تطور تلك المصطلحات، يدفع إلى هذا المنهج أن كل

---

[24] دراسات مقارنة بين العربية و العبرية 39،و انظر الفعل زمانه وأبنيته 97.

[25] الكتاب 114/4.

[26] الخصائص 144/2.

أهل علم ممن عرضنا لهم كانت لهم عناية بمصطلحات هذه الظاهرة، وأن هذا المنهج أكثر استقراء وأجدى نفعاً على ما أعتقد.

وفيما يلي عرضٌ لما وقفت عليه عند عدد من أهل العلم:

1. سيبويه: (ت 180هـ)

يدل سيبويه على الفعل المبني للمجهول بالطرق التالية:

أ- بالميزان الصرفي (فُعِلَ يفْعلُ)، وبعض نصوصه يشتم منذكره الميزان الصرفي رائحة المصطلح كما في قوله: "**ويكون الحرف على افعالات.. وإذا أردت منه (فُعِلَ) قلبت الألف واواً للضمة..**[27]" فواضح أنه يريد بـ (فُعِلَ) الظاهرة لا الصيغة، بدليل أنه يتحدث عن صيغة مزيدة.

2- ويستعمل مصطلح (فعل المفعول) كما في قوله: وقد يتعدى فعل المفعول فينصب، وذلك قولك: كُسِي عبد الله الثوب، وأُعطي عبد الله المال... وانتصب الثوب والمال لأنهما مفعولان تعدى إليهما فعل مفعول هو بمنزلة الفاعل[28]".

3- ويطلق مصطلح (الفعل الذي شُغِلَ بالمفعول) كما في قوله: "هذا باب ما يكون من المصادر مرفوعاً فيرتفع إذا شغلت الفعل به، وينتصب إذا شغلت الفعل بغيره[29]"، ويمثل لذلك بـ "سير سير شديد، وضرب ضرب عنيف" ثم يقول: "وكذلك جميع المصادر ترتفع على أفعالها، إذا لم تشغل الفعل بغيره[30]ا"

أما النائب عن الفاعل فيعبر عنه سيبويه بـ "مفعول بمنزلة الفاعل[31]".

2. الفراء: (ت 207 هـ)

يطلق على الفعل (فعل لم يسم فاعله) كقوله عن (حرم)[32]: "فعل لم يسم فاعله[33]". ويطلق على النائب عن الفاعل لفظ "الاسم"، كقوله: "على أن كل ما لم تسم فاعله، إذا

---

[27] الكتاب 4/ 284.

[28] الكتاب 1/ 41-42.

[29] الكتاب 229/1.

[30] الكتاب 229/1.

[31] الكتاب 1/ 42.

كان فيها اسمان، أحدهما غير صاحبه، رفعت واحداً، ونصبت الآخر.. "[34] ولهذا نظائر كثيرة[35]. ونجد الفراء يطلق لفظ (الفاعل) ويريد صيغة المبني للمعلوم، ولفظ (المفعول) ويريد به صيغة المبني للمجهول، فقد أورد قوله تعالى: "فيقْتلون ويقْتَلون[36]" وقال: "قراءة أصحاب عبد الله يقدمون المفعول قبل الفاعل[37]" يريد أنهم يقدمون المبني للمجهول (يقتلون).

3.الأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة): (ت 215هـ).

يدل الأخفش على الفعل بوزنه المجرد (فُعِلَ) كما في قوله: " (وإذا قيل لهم)[38] فمنهم من يضم أوله لأنه في معنى (فُعِلَ)، فيريد أن يترك أوله مضموماً على معناه[39]" ولهذا نظائر كثيرة[40].

ويدل على الفعل أيضاً بعبارة "شُغِلَ الفعل بـ "، ومن الأمثلة على ذلك أنه أورد قوله تعالى "فُصِلت آياته قرآناً عربياً[41]"، وقال "شُغِلَ الفعلُ بالآيات، حتى صار بمنزلة الفاعل، فنصب القرآن[42]". والأخفش في هذا المصطلح يحذو حذو سيبويه على ما مر.

وأما نائب الفاعل عند الأخفش فهو "الاسم الذي صار بمنزلة الفاعل[43]"،أو هو الاسم الذي صار "يقوم مقام الفاعل"، مثال ذلك أنه أورد قوله تعالى "كُتِب عليكم الصيام[44]"، وقال: "..لأنك شغلت الفعل بالصيام حتى صار يقوم مقام الفاعل[45]".

---

32 البقرة 173.
[33] معاني القرآن للفراء 1/102.
34 معاني القرآن للفراء 1/112.
[35] انظر: معاني القرآن للفراء 1/114، 301، 357، 2/46، 352.
[36] براءة 111.
[37] معاني القرآن للفراء 1/ 453.
[38] فصلت 2.
[39] معاني القرآن للأخفش 1/41.
[40] معاني القرآن للأخفش 1/45، 58، 145.
[41] فصلت 2.
[42] معاني القرآن للأخفش 2/464.
[43] معاني القرآن للأخفش 2/464.
[44] البقرة 183.

4.ابن السراج (ت 316هـ):

يدل على الفعل بمصطلح "ما لم يسم فاعله"، كما في قوله: " وإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين... فرددته إلى ما لم يسم فاعله..."[46].

أما نائب الفاعل فله عنده تسميتان هما:

أ. " المفعول الذي لم يسم من فعل به"[47].

ب. القائم مقام الفاعل، مثال ذلك قوله: "وتقول: سير بزيد، فتقيم (بزيد) مقام الفاعل"[48].

5. النحاس (ت 338 هـ):

يدل على الفعل بمصطلح "ما لم يسم فاعله"[49].

ويدل على نائب الفاعل بمصطلح "**اسم ما لم يسم فاعله**"، مثال ذلك ما ذكره في قوله تعالى: "ولا يقبلُ منه شفاعة"[50]، وقال عن "شفاعة": "اسم ما لم يسم فاعله"[51]، ولهذا نظائر كثيرة[52]. النحاس يلتزم بمصطلحاته التزاماً تاماً، فلا يحيد عنها إلى غيرها.

وثمة قضية تتصل بالمصطلح على نحو ما عنده، وهي أنه يطلق على المنصوب بعد الفعل المبني للمجهول مصطلح: "خبر ما لم يسم فاعله" مثال ذلك قوله عن "العلم" من قوله تعالى: "وأوتوا العلم[53]": "خبر ما لم يسم فاعله"[54]، ويطلق المصطلح نفسه على المجرور لفظاً المنصوب محلاً، فهو يورد قوله تعالى: "يحلون فيها من

---

[45] معاني القرآن للأخفش 158/1.
[46] الأصول 76/1.
[47] الأصول 76/1.
[48] الأصول 76/1.
[49] إعراب القرآن للنحاس 212/1، 332.
[50] البقرة 48.
[51] إعراب القرآن للنحاس 222/1.
[52] إعراب القرآن للنحاس 255/1،232، 284، 287، 306، 317، 332، 423، 25/5، 66.
[53] الأحزاب 14.
[54] إعراب القرآن للنحاس 3/ 306.

أساور[55]"، ويقول: ".. (من أساور) في موضع نصب لأنه خبر ما لم يسم فاعله[56]"، وإطلاق مصطلح (خبر) على المنصوب بعد المبني للمجهول يمكن أن يفهم إذا علمنا أن النحاة مختلفون في العامل الذي يعمل في المنصوب بعد الفعل المبني للمجهول، وهم على مذاهب ثلاثة:

المذهب الأول: أن الفعل المجهول يتعدى بنفسه إلى هذا المنصوب، وهو مذهب سيبويه وجمهور النحاة.

المذهب الثاني: أن الاسم منصوب بفعل مقدر، وهو مذهب الفراء وابن كيسان.

المذهب الثالث: أن المنصوب هو خبر ما لم يسم فاعله، وهو مذهب الزجاج، والنحاس[57].

6. ابن جني (ت 395 هـ):

يدل أبو الفتح على الفعل بمصطلح "بناء الفعل للمفعول"، أو بمصطلح "بني للمفعول"، كما في قوله: "

إن الفعل إذا بني للمفعول...[58]"، ويجمع بين هذا المصطلح، وبين مصطلح (ما لم يسم فاعله) في قوله: " وإذا صرت إلى بناء الفعل للمفعول، وهو الذي يسمى بـاب (مالم يسم فاعله)، انفتح الطرف في جميع المضارع..[59]"، وقوله:(يسمى) دليل على أن مصطلح (ما لم يسم فاعله) أمكن في نفسه، يؤيد في هذا حديثه عن الأفعال التي لزمت البناء للمجهول الذي يقول فيه: ".. ولذلك بني الفعل للمفعول، وألغي معه حديث الفاعل، فقام في ذلك مقامه، ورفع رفعه، فهذا طريق ما لم يسم فاعله[60]"، فكأن (المبني للمفعول) ينصرف عنده إلى الإسناد، و(ما لم يسم فاعله) ينصرف إلى التسمية

---

[55] الكهف 31.

[56] إعراب القرآن للنحاس 455/2.

[57] انظر: همع الهوامع524/1 ففيه حديث عن المذاهب الثلاثة من غير أن يذكر النحاس.

[58] المحتسب 1 /135.

[59] المنصف 93 ـ 94.

[60] المحتسب 1/ 104.

(المصطلح). وأما النائب عن الفاعل فيدل عليه ابن جني بـ "ما أقيم مقام الفاعل" أو "مفعول أُقيم مقام الفاعل[61].

7. **محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت505هـ)[62]:** يطلق الكرماني على الفعل مصطلح " المبني للمجهول "، ورد ذلك في قوله: "..ولأن قوله (طُبِع)[63] محمول على رأس الآية، وهو قوله: " وإذا أُنزلت سورة[64]"مبني للمجهول[65]" ويسميه في موضع آخر " الفعل المسند إلى المجهول "، جاء ذلك في قوله: "والفعل المسند إلى الله، فوق المسند إلى المجهول[66]"

العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (ت 616هـ)): يدل العكبري على الفعل بـ (ما لم يسم فاعله)، كما في قوله: " ويقرأ (حرم) على ما لم يسم فاعله[67]"، كما يدلّ على الفعل المبني للمعلوم، والمبني للمجهول بقوله: "... ويقرأ بتسمية الفاعل وبترك التسمية[68]". ويدل على نائب الفاعل بقوله: " القائم مقام الفاعل".

9. **ابن يعيش (ت 643 هـ):** يتبع ابن يعيش في (شرحه) نهج الزمخشري صاحب (المفصل) فيستعمل مصطلح (فعل ما لم يسم فاعله)، كما في قوله: " ويقال له: فعل ما لم يسم فاعله، فـ (ما) ههنا موصولة بمعنى (الذي) والتقدير: فعل المفعول الذي لم يسم فاعله، لأن الذي صِيغ له قد كان مفعولاً، وكان له فاعل مذكور[69]".

---

[61] المحتسب 1/ 229 ـ 230.

[62] هو محمود بن حمزة بن نصر الكرماني , أبو القاسم , برهان الدين , يعرف بتاج القراء , عالم بالقراءات.ترجمته في غايةالنهاية 2 /291.

[63] التوبة 87.

[64] التوبة 86.

[65] أسرار التكرار 100.

[66] أسرار التكرار 100.

[67] إملاء ما من به الرحمن 76/1.

[68] إملاء مامن به الرحمن 292/2.

[69] إملاء مامن به الرحمن 97/1, 193, 2 /256 ,

أما النائب عن الفاعل فيسميه " المفعول الذي لم يسم فاعله[70]" كما يدل على هذا النص السابق ويسميه " المفعول الذي يقوم مقام الفاعل[71]".

10ـ القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري)(ت 671 هـ):

يطلق القرطبي في (تفسيره) للدلالة على الفعل المصطلحات التالية:

أ.غير مسمى الفاعل: كقوله: " وقرأ عاصم والجحدري.. (وإنك لتُهدى)[72] غير مسمى الفاعل، أي لتُدعى، الباقون: (لتهدي) مسمى الفاعل[73]"، ولهذا نظائر كثيرة[74]

ب. لم يسم فاعله: واستعماله لهذا المصطلح كثير جداً[75].

ج. **مبني للمفعول:** كما في قوله: " وقرأ جماعة: (أُدخِلَ) على أنه مبني للمفعول[76]".

د. **الفعل المجهول:** استعمله القرطبي أول مرة في قوله: " ولقوله: (فقد رحِمه)[77]، ولم يقل رحِم على المجهول[78]"، ومثل هذا قوله: " وقرأ الكوفيون: (يضل)[79] على الفعل المجهول[80]"، ولهذا نظائر كثيرة[81].

وقد يجمع القرطبي بين مصطلحين دالين على الفعل في عبارة واحدة، كما في قوله: "وقرأ السلمي (ت 74 هـ)، وقتادة: (يهد قلْبه)[82] بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول، ورفع الباء لأنه اسم فعل لم يسم فاعله[83]".

---

[70] شرح المفصل 69/7.

[71] شرح المفصل 7 /71.

[72] الشورى 52.

[73] تفسيرالقرطبي 1 / 279 , 5/ 417 , 12 / 95. تفسيرالقرطبي 16 /60.

[74] تفسيرالقرطبي 16 /60.

[75] تفسير القرطبي 1/ 202 , 342 , 3 / 28 ـ 29 , 9 / 25 , 11 /264 , 12 / 275 , 13 / 319 , 14 / 288 , 15 / 315 , 17 / 169.

[76] تفسير القرطبي 9 / 358.

[77] الأنعام 16.

[78] تفسير القرطبي 6 / 397 ـ 398.

[79] التوبة 37.

[80] تفسير القرطبي 6 / 397 ـ 398.

[81] تفسير القرطبي 10 / 229 , 416 , 11 / 244 , 332 , 12 / 103 , 299 , 13 / 10 , 289 , 14 / 249 , 222 , 15 / 354 , 16 / 65 , 162 , 17 / 163 , 18 / 94.

[82] التغابن 11.

ويدل القرطبي على نائب الفاعل بالمصطلحات التالية:

1. مفعول ما لم يسم فاعله: كما في قوله: " ويحتمل أن تُضارر[84]" فـ "والدةٌ " مفعول ما لم يسم فاعله[85]"، ولهذا نظائر[86].
2. اسم ما لم يسم فاعله كقوله: ".. (أن ينزل عليكم من خير)[87] من: زائدة، (خير) اسم مالم يسم فاعله[88]"، ولهذا نظائر كثيرة[89].
3. القائم مقام الفاعل: كقوله: " وقرأ ابن محيصن (ت 123 هـ)، وابن كثير (ت120 هـ), ومجاهد (ت103 هـ) (يوحى)[90] بفتح الحاء على ما لم يسم فاعله.. فيكون الجار والمجرور في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل[91]".

بقي أن نقول: إن القرطبي يستعمل مصطلح (خبر ما لم يسم فاعله)، جاء في تفسيره: ".. ولا تُكلفُ إلاّ نفسك[92]"، (إلاّ نفسك) خبر مفعول ما لم يسم فاعله[93] ولهذا نظائر[94]، وقد عرفنا من قبل أن هذا المصطلح يطلقه النحاس. وتفسير تعدد المصطلحات وكثرتها عند القرطبي ناتج عن كثرة المصادر التي استقى منها مادة تفسيره.

11. الرضي الأستراباذي (ت 686 هـ):

ينسج الرضي على منوال ابن الحاجب (ت 646 هـ) فيستعمل في (شرح الكافية) مصطلح "ما لم يسم فاعله", كما في قوله: "قولهم: فعل ما لم يسم فاعله, أي فعل المفعول الذي لم يسم فاعله, وإنما أضيف إلى المفعول لأنه بني له[95]".

---

[83] تفسير القرطبي 18 / 139 ـ 140.
[84] البقرة 223.
[85] تفسير القرطبي 2 / 222.
[86] تفسير القرطبي 2 / 296 , 3 / 167.
[87] البقرة 105.
[88] تفسير القرطبي 2 /61.
[89] تفسير القرطبي 2 /157 , 4 / 294 , 5 / 417 , 11 / 334 , 12 / 131 , 13 / 158.
[90] الشورى 3.
[91] تفسير القرطبي 16 /3.
[92] النساء 84.
[93] تفسير القرطبي 293/5.
[94] تفسير القرطبي 266/8, 311.
[95] شرح الكافية 128/4.

وفي الدلالة على نائب الفاعل يستعمل كابن الحاجب مصطلح" مفعول ما لم يسم فاعله", كقوله: "قولهم: مفعول ما لم يسم فاعله, أي مفعول الفعل الذي لم يسم فاعله[96]".

12. ابن هشام (ت761 هـ):

أما ما يتعلق بمصطلحات الفعل عنده فهو يوازن بين مصطلحي (فعل ما لم يسم فاعله) و(مبني لما لم يسم فاعله)، ويختار الأول، ويدعو إلى ترك الثاني "لما فيه من التطويل والخفاء[97]".

وأما ما يتصل بمصطلحات نائب الفاعل عنده، فهو يوازن بين مصطلحي (النائب عن الفاعل) و(مفعول لما لم يسم فاعله)، ويختار الأول لعلتين:

الأولى: أن النائب عن الفاعل يكون مفعولاً وغيره.

الثانية: أن المنصوب في قولهم: "أُعطِي زيد ديناراً" يصدق عليه أنه مفعول للفعل الذي لم يسم فاعله، وليس مقصوداً لهم[98]".

كانت تلك جولة في آثار اثني عشر رجلاً من أهل العلم كانت لهم عناية بالمصطلحات الدالة على ظاهرة البناء للمجهول، وقد تعمدتُ عند اختيارهم أن تكون عصورهم مختلفة، ومشاربهم متباينة، وذلك أن فيهم النحوي، واللغوي، والبلاغي، والمفسر، ومن له علم بالقراءات القرآنية..، ومن استعراض ما دلوا به على (الفعل) تبين أنهم أطلقوا العبارات، أو المصطلحات التالية:

1- **استخدام وزن (فُعِلَ) في الدلالة على الظاهرة.**
2- **ما لم يسم فاعله.**
3- **لم يسم فاعله.**

---

[96] شرح الكافية 215/1. ملاحظة: الغريب أن مصحح كتاب (شرح الكافية) يتصرف في مصطلحات النص فيذكر مصطلح (المبني للمجهول) و (نائب الفاعل) إقحاما دون أن يشير إلى ذلك , وهذا لا يجوز (انظر شرح الكافية 215/1, 128/4).

[97] الإعراب عن قواعد الإعراب 105.

[98] انظر:شرح شذور الذهب 159، والمغني 664/2 , وشرح قطر الندى 260.

4- **ترك تسمية الفاعل.**

5- **غير مسمى الفاعل.**

6- **المبني للمجهول.**

7- **المبني للمفعول.**

8- **بني الفعل للمفعول.**

9- **فعل المفعول.**

10- **الفعل الذي شُغِلَ بالمفعول.**

- وأما العبارات والمصطلحات الدالة على (نائب الفاعل) عندهم، فهي:

أ- مفعول بمنزلة الفاعل.

ب- اسم ما لم تسم فاعله.

ج- الاسم الذي صار بمنزلة الفاعل.

د- الاسم الذي يقوم مقام الفاعل.

هـ- القائم مقام الفاعل.

و- المفعول الذي لم يسم فاعله.

ز- مفعول أقيم مقام الفاعل.

ح- ما أقيم مقام الفاعل.

ط- مفعول ما لم يسم فاعله.

ي- النائب عن الفاعل.

وثمة ملحوظات لا بد منها في الحديث عن المصطلح في ظاهرة البناء للمجهول، وهي:

الأولى: أن هاتين القائمتين ليستا نهائيتين، بل إن تتبع آثار آخرين سيرفع من رصيد كل قائمة حتماً، من ذلك مثلاً أن الشيخ ابن علاّن الدمشقي (ت 1057هـ) جاء بمصطلح آخر دل به على الفعل، وجعله في عنوان معجمه الموسوم بـ " **إتحاف**

الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل" وربما جاء بهذا المصطلح (الفعل المبني لغير الفاعل) تحقيقاً لمتطلبات السجع.

ومن ذلك أيضاً أن ابن مالك (ت672 هـ) يطلق مصطلح (فعل الغائب)[99]. وبالجملة فإن مصطلحات هذه الظاهرة كثيرة، ولهذه الكثرة دلالات عدة، منها أن العمر المتطاول للعربية عامل من عوامل هذه الكثرة. ومنها أن المصطلح عادة يشهد تطوراً في انتقاء المفردة، أو الجملة اللتين تلبيان الحاجة التعبيرية. ومنها أن الرجل من أهل العلم كان يعطي نفسه حرية التصرف في اللغة فيبادر إلى الاختراع والاصطناع لتلبية الحاجة، وهذا يتجلى على نحو واضح عند سيبويه - على سبيل التمثيل - كما في قوله: "الفعل الذي شُغِلَ بالمفعول"، بل إن التصرف والاختراع نجده حتى عند المتأخرين، فابن مالك هو أول من أطلق مصطلح "**النائب عن الفاعل**" على ما يقرر أبو حيان (ت725هـ) في حديثه عن (باب النائب عن الفاعل)، يقول: "ولم أر مثل هذه الترجمة لغير ابن مالك , والمعروف باب الذي لم يسم فاعله[100]".

الثانية: ذكر بعض الدارسين أن مصطلح "المبني للمجهول" "قد أتى بآخرة[101]" متّبعاً ما ذهب إليه صاحب كتاب " المصطلح النحوي ", ومورداً قوله: "**وهدوا بعد ذلك إلى الاختصار والثبات على اصطلاح المجهول[102]**", وما ذهب إليه الدارسان لم يبن على استقراء تام، فقد تبين لي - على ما تقدم - أن هذا المصطلح لم يأت بآخره، ولم يهتدوا إليه لاحقاً، وإنما هو مصطلح قديم نسبياً، فقد استعمله الكرماني الذي توفي في مطلع القرن السادس الهجري، واستعمله كثيراً القرطبي، وهو ممن عاش في القرن السابع.

---

[99] التسهيل 77.

[100] شرح التصريح 286/1.

[101] المبني للمجهول في الدرس النحوي 13.

[102] المصطلح النحوي 144 , وانظر: المبني للمجهول في الدرس النحوي 13.

الثالثة: أن من عرضنا لهم يفرقون في مصطلحاتهم وعباراتهم بين (الفاعل) و(نائب الفاعل) غير أن بعض أهل العلم - وهم قلّة - لم يفصلوا بين هذا وذاك، ومن هؤلاء ابن خالويه (ت370هـ) يدل على ذلك قوله: "... و(أمروا)[103] فعل ماض لم يسم فاعله.. والواو ضمير الفاعلين، وهو مفعول في الأصل، غير أن الفعل إذا لم يذكر فاعله صار المفعول به في موضع الفاعل"[104] ومنهم عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ)، والأمر عنده بين واضح، يقول: ".. فلا فصل بين (ضرب زيد) و(ضرب زيد)، في جواز تسمية كل منهما فاعلاً، وإذا جاز أن يسمى نحو (مات زيد) فاعلاً مع أنه عارٍ من الفعل ومفعول في المعنى من حيث إن الله تعالى أماته، جاز أن يسمى (زيد) في قولك (ضرب زيد) فاعلاً، وإن كان قد وقع عليه الفعل في المعنى"[105]. وعدم الفصل بين الفاعل والنائب عن الفاعل نجده عند الزمخشري (ت 538هـ) أيضاً، فهو يذكر أن "الوصيةُ"[106] عنده فاعل (كُتِب)[107].

ومع أن هذا الذي أثير يخفي وراءه مسألة إشكالية تتصل بمنطق قواعد اللغة التي لم تلحظ الفروق الدقيقة في علاقات الإسناد بين إسناد الفعل إلى الفاعل الحقيقي، وبين إسناده إلى الفاعل المجازي، فإن عدم الفصل لا يعتد به لأن جمهور النحاة على خلافه أولاً، ولأن الدلالة في الفعل المعلوم تختلف عنها في الفعل المجهول، فلا أحد منا يستطيع أن يقول: إن دلالة الفعلين واحدة في قوله تعالى: " إذْ تبرأ الذين اتِبعوا من الذين اتّبعوا[108].

الرابعة: قلّما وجدنا في آثار من عرضنا لهم من يدقق في المصطلح، أو يقف عنده مناقشاً، ومن هؤلاء القلة ابن هشام، فهو يوازن، ويفاضل، ويهجر، ويختار،

---

[103] البينة 5.
[104] إعراب ثلاثين سورة 145.
[105] المقتصد 246/1.
[106] البقرة 180.
[107] الكشاف 1/ 234.
[108] البقرة 166.

ويعلل اختياره، كما في قوله: " ينبغي أن تقول في (ضرب) من (ضرب زيد) بأنه فعل ماض لم يسم فاعله، ولا تقل: مبني لما لم يسم فاعله، لما فيه من التطويل والخفاء، وأن تقول: في نحو (زيد) نائب فاعل، ولا تقل: مفعول لما لم يسم فاعله، لخفائه وطوله، وصدقه على نحو (درهماً) من (أُعطِي زيد درهماً)[109]. وواضح أن ابن هشام يختار المصطلح الذي يتحقق فيه بلاغة العبارة عبر الإيجاز، ووضوح المعنى عبر الإبانة، ودقة المعنى وسلامته عبر أمن اللبس. وعلى ضوء من اختيار ابن هشام صاغ الصبان (ت1206هـ) قاعدته التي قال فيها: " (والنائب عن الفاعل)، هذه العبارة أولى وأخصر من قول كثير، المفعول الذي لم يسم فاعله، لصدقه على (ديناراً) من (أعطي زيد ديناراً)[110]" وعلى ضوء هذا وذاك صاغ الدكتور **عباس حسن** قاعدته التي قال فيها: " **النائب عن الفاعل يسميه كثير من القدماء: المفعول الذي لم يسم فاعله، والأول أحسن لأنه أخصر، ولأن النائب عن الفاعل قد يكون مفعولاً في أصله، وغير مفعول كالمصدر والظرف والجار والمجرور**[111]".

الخامسة: لا يعدم أن يجد الدارس مسوغات لإطلاق هذا المصطلح أو ذاك، أو يجد ما يقوي مصطلحاً، أو ما يضعفه ؛ فمصطلح (المبني للمجهول) شائع على ألسنة المعاصرين، وفي مناهج التعليم، وسوف نجد من ينتقد هذا المصطلح في دلالته، وفي دقته.

وإذا كان بعض من عرضنا لهم انتقد مصطلح "المبني للمفعول"، ولاسيما في أنه ملبس، فإنني أرى في هذا المصطلح ما يقويه، ويسوغ إطلاقه ؛ من ذلك كثرة استعماله، ومن ذلك إطلاقه من مبدأ (التغليب)، ذلك أن أغلب ما جاء في القرآن الكريم كان الفعل فيه مبنياً لما أصله المفعول به حقيقة، فقد قام المفعول به مقام الفاعل في مواضع بلغت /422/، وفي قراءات بلغت /134/، وقام المفعول الأول مقام الفاعل في

---

[109] الإعراب عن قواعد الإعراب 105 , وانظر: المغني 664 , وأوضح المسالك 2/ 135.
[110] حاشية الصبان 2ـ78.
[111] النحو الوافي 96/2.

/77/ موضعاً، وفي قراءات 23"[112] ولعل هذا هو السر في أن يجد مصطلح (المبني للمفعول) أنصاراً له حتى بين المحدثين[113]. أما مصطلح (ما لم يسم فاعله) فهو أكثر المصطلحات شيوعاً، فقد ورد في (لسان العرب) مثلاً ما أناف على مئة موضع[114].

أغراض البناء للمجهول:

الغرض من الفعل ما قُصِد حصوله منه، وما ذكره أهل النحو للفعل المبني للمجهول من أغراض يكاد يكون مكرراً محدداً، هاهو أبو حيان يجمع الأغراض في أشطار أرجوزة على نحو مكثّف، يقول: " وذكر المتأخرون البواعث على حذفه[115]، وقد نظمتُ ذلك في أرجوزة في قولي:

وحذفه للخوف والإبهام   والوزن والتحقير والإعظام
والعلم والجهل والاختصار   والسجع والوفاق والإيثار"[116]

وقبل الشروع في الحديث عن كل غرض لابد من الإشارة إلى الأمور التالية:

- إن الحديث عن الأغراض ـ ولاسيما في كتب النحو – حديث موجز مجمل، ولا يمكن للدارس أن يجليها إلا إذا وقف أمامها محللاً مناقشاً.
- الصورة العامة عند النحاة أن جملة المبني للمجهول هي بالضرورة متولدة من جملة المبني للمعلوم، وكل غرض من الأغراض إنما هو ناتج عن حذف الفاعل، وهذا التصور بدوره يحتاج إلى تدقيق ومناقشة.
- كثيراً ما يتم البحث عن الفاعل المحذوف الذي احتجب في البنية العميقة، ومع التأويل والتقدير قد يضيع الغرض من الفعل المبني للمجهول، وأحياناً تتباين

---

[112] دراسات لأسلوب القرآن الكريم ـ القسم الثالث 557/1.

[113] انظر على سبيل المثال بحث: (المبني للمفعول ومظاهر التطور , للدكتور فوزي الشايب ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية العدد 31 , المجلد 8لعام 1988م.

[114] انظر: اللسان: 476/1 (سهب) , 647/1 (غرب) , 68/2(قتل).

[115] يريد حذف الفاعل

[116] ارتشاف الضرب 184/3.

تقديرات المقدرين إلى حد يجعل جملة المبني للمجهول غير مستقرة، وقد يوقع ذلك في إرباك، وإننا لنجد هذا الإرباك فيما ذهب إليه الزمخشري عند حديثه عن قوله تعالى: "فَأُلقِيَ السحرةُ ساجدين[117]" قال: "فإن قلت: فاعل الإلقاء ما هو لو صُرح؟ قلت: هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق، أو إيمانهم بما عاينوا من المعجزة الباهرة، ولك ألاّ تقدر فاعلاً، لأن ٌألقوا بمعنى خروا وسقطوا[118]". هكذا تتبدى حيرة الزمخشري وهو يقدر الفاعل، ومثل هذا نراه في قول الشوكاني (ت1255هـ): "أي خروا ساجدين كأنما ألقاهم ملقٍ على هيئة السجود، ولم يتمالكوا أنفسهم[119]" وما نراه أقرب إلى فهم هذا التركيب هو عدم البحث عن الفاعل المحذوف، وقد ناقش هذه المسألة القاضي عبد الجبار (ت 415 هـ) عندما عرض لقوله تعالى: " وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم[120]"، وذكر أن بعضهم نسب الفعل إلى الله، فقال: " والجواب عن ذلك أن الله وصفهم بذلك، ولم يبين من الذي فعله، ومتى لم يسم الفاعل عند ذكر الفعل، لم يعلم بالظاهر من الفاعل، فالتعلق بذلك بعيد..[121]"

ومثل هذا ذكره في حديثه عن الفعل (زين)[122]، فبناء الفعل للمجهول هنا لا يدل على من الفاعل في الحقيقة، وإن اجتهد أهل العلم في تقدير: (المزين)، فقد نقل القاضي عبد الجبار عن شيوخه " أن الكفّار هم الذين زينوا لأنفسهم، وزين بعضهم لبعض، وزين الشيطان ذلك[123]".

حاصل الأمر أن بعض الأفعال المبنية للمجهول في بعض التراكيب كان فيها تقدير الفاعل المحذوف مربكاً محيراً.

---

[117] الشعراء 46.

[118] الكشاف 3/ 113.

[119] فتح القدير 327/2.

[120] البقرة 93.

[121] متشابه القرآن 98/1ـ 99.

[122] البقرة 212.

[123] متشابه القرآن 121/1ـ 122.

ـ ما كان لأغراض البناء للمجهول أن تُختزل إلى هذا الحد ـ ولاسيما ما جاء منها في القرآن الكريم ـ تلك الأفعال التي أسهمت في تشكيل البيان المعجز الذي لا يمكن أن يفهم على نحو مفيد، لا بنية، ولا مرجعية، ولا أساليب بلاغية، من غير التدقيق في مكونات المرسلة اللغوية، وهي المرسل، والمرسل إليه، والمرسلة، وهذه المكونات لم تولها قواعد النحويين الاهتمام اللازم عند الحديث عن الأغراض، ما عدا إشارات سريعة لم تكن مقصودة لذاتها.

إن قصدية المرسل في نص كالقرآن الكريم لا يجوز أن نتجاهلها، ولا يجوز أن نتجاهل قرائنها عند الحديث عن الأغراض في المبني للمجهول، ومعروف أن القرآن الكريم يتصف بخصوصية لها أكبر الأثر في نسيجه، وهي أنه صدر عن تصور كلّي كامل باللغة، " لقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لا بنحو عربي مبين، وهكذا امتدت تراكيبه على رحابة اللغة، ولم ينحبس في بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها، ما اطرد منها وما لم يطرد[124]".

وأما ما يتحصل عليه المرسل إليه من المرسلة، فينبغي أن يلحظ عند الحديث عن الأغراض دون أن ننسى أن ما يتحصل عليه المرسل إليه يؤثر فيه المكونات الفكرية والثقافية والجمالية واللغوية.

وينبغي أن نلحظ أغراض المبني للمجهول في المرسلة مع مراعاة منطق اللغة العربية حاملة المرسلة، فللعربية أساليبها قبولاً وامتناعاً، نذكر على سبيل المثال أنه لا حظ لظاهرة البناء للمجهول في الأفعال الطلبية التي وردت في القرآن الكريم مع أنها تقرب من ثلاثة آلاف موضع[125]، وصيغة المخاطب لا تأتلف مع المبني للمجهول، و(ما) الاستفهامية لم تدخل على فعل مبني للمجهول، و(كم) لم تقع نائب فاعل في اللغة العربية. على ضوء ما سبق سوف أتناول بالدراسة ما يمكن أن تنطوي عليه

---

[124] البيان في روائع القرآن 283.

[125] انظر: دراسات في أسلوب القرآن الكريم القسم الثالث 11/1.

ظاهرة البناء للمجهول من أغراض كثيرة، مبتدئاً بما ذكره النحويون، ثم أنتقل إلى ما أثمرت عنه جهود اللغويين والبلاغيين والمفسرين، مع ملاحظة أن من الأغراض ما هو متجه إلى المرسلة اللغوية، وما هو متجه إلى المرسل إليه، وأنها في أغلبها تخضع لقصدية المرسل، دون أن ننسى الإشارة إلى صعوبة الفصل بين هذه الأغراض لما بينها من تشابك عميق، ودون أن ننسى أيضاً أن نذكر أن الفعل في جملة البناء للمجهول يتضمن معنى البناء للمجهول الصرفي في ذاته، وفي صيغته الصرفية خارج تركيب الجملة، وأن البناء للمجهول النحوي عبارة عن وظيفة نحوية لا تنشأ إلا مع تركيب الجملة، وبقيام علاقة سياقية معينة، وفيما يلي دراسة لأبرز الأغراض التي ذكرها النحويون للفعل المبني للمجهول.

آ. الأغراض التي تتجه إلى المرسلة اللغوية:

عد النحاة ثلاثة أغراض يهدف المرسل فيها إلى العناية بالمرسلة اللغوية لتكون على نحو خاص، ومنها:

أ ـ حذف الفاعل لإصلاح السجع:

يذكرون في هذا المقام مثالاً بعينه، وهو قولهم: من طابت سريرتُه حمِدت سيرتُه، فالفعل المبني للمجهول (حمِدت) حقق للمرسل هدفه في هندسة العبارة، فلو سمى الفاعل لزادت كلمات السجعة الثانية على الأولى، ولتغير الإعراب. ويبدو لي أن إسهام الفعل المبني للمجهول في إصلاح السجع لا يتميز من إسهام أي مفردة من مفردات اللغة. والمثال الذي ذُكر يكاد يكون الوحيد. وهذا يعني أن هذا الغرض لا يشكل ظاهرة لغوية.

أما الشاهد الذي ذكره كمال باشا حين قال: "ومنها رعاية السجع، كقوله: "وما لأحد عنده من نعمة تُجزى[126]" فهو يدل على أنه لا يفرق بين (السجعة) و(الفاصلة)، نعم يمكن أن يقال: إن الفعل المبني للمجهول (تُجزى) تحقق فيه التوافق مع الفواصل التي قبله، والتي بعده، لكن الصحيح أيضاً أن يقال: وبالفاصلة " يتم بيان

---

[126] أسرار النحو 101.

المعنى، ويزداد وضوحه جلاءً وقوة.. ويتم بها النغم الموسيقي للآية، وتأتي الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة، ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الآية تعلقاً كاملاً بحيث لو طُرحت لاختل المعنى، واضطرب الفهم[127]".

ب. حذفه لإقامة وزن الشعر:

وربما قالوا: لإقامة النظم، أو تصحيح النظم، ومما يذكر في هذا المقام قول عنترة:

وإذا شَرِبتُ فإنني مستهلِكٌ مالي، وعرضي وافر، لم يُكْلَمِ[128]

فهم يرون أن الفعل المبني للمجهول (لم يكْلَم) أقام وزن البيت , واتّسق مع القافية, وهذا الغرض على ما أعتقد لا مزية للفعل المبني للمجهول فيه على غيره من مفردات البيت, فكل مفردة تسهم في إقامة الوزن على نحو ما.

ج. حذفه قصد الإيجاز:

وقصد المرسل هنا هو تكثيف بنية المرسلة عبر الإيجاز، ومن الشواهد على هذا قوله تعالى: "ومن عاقَب بمثل ما عوقِب[129]". ولا ريب في أن استعمال الفعل المبني للمجهول من الأساليب التي يتحقق فيها الإيجاز، وهذا الأمر ليس بخاف في لغة القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: " كتاب فُصلت آياته[130]", فقد تحقق الإيجاز في هذه الآية على نحو بين، فلو نُقِلت الجملة في غير القرآن إلى المبني للمعلوم لأصبحت: " هذا كتاب فصل الله آياته"، ولا يخفى ما في الآية الكريمة من بلاغة الإيجاز بالمقارنة مع الجملة المحولة الثانية، وما فيها من تطويل.

2 ـ حذفه للجهل به:

ذكر هذا الغرض كثير من أهل النحو[131]، وقد رأى فيه بعضهم غرضاً مستقلاً بنفسه في مقابل الأغراض اللفظية، والأغراض المعنوية، في حين رأى فيه بعضهم

---

[127] من بلاغة القرآن الكريم 75 ـ 76.

[128] ديوانه 206.

[129] الحج 60.

[130] فصلت 3.

[131] انظر: شرح المفصل 71/7 وهمع الهوامع1/ 518 , وحاشية الصبان 87/2.

الآخر غرضاً معنوياً، وقد ذكر ذلك الصبان (ت1206هـ)، وذهب إلى أنه غرض معنوي، فقال: "جعل الشارح الجهل غرضاً معنوياً تبع فيه ابن الناظم، وهو غير ظاهر، والظاهر ما في (التوضيح) من جعله مقابلاً للغرض اللفظي والمعنوي، وعندي أن الظاهر ما مشى عليه ابن الناظم والشارح[132]".

وهذا الغرض يقتضي ـ على ما يفهم من كلام النحاة ـ أن يكون أصل الجملة الفعل المبني للمعلوم (فَعَلَ) المسند إلى الفاعل، ثم تحولت إلى جملة المبني للمجهول (فُعِلَ) المسند إلى اسمه المرفوع وهذا التحول ناتج من أن المرسل يجهل الفاعل الحقيقي، ولذلك كان حذف الفاعل أو ترك ذكره، أو طيه، أو عدم تسميته.. إلى غير هذا من المصطلحات التي يشيرون فيها إلى غياب الفاعل.

وهذا الفهم إنما هو فهم أولي بسيط، فقد دلّ التدقيق على أن هذا الغرض ينطوي على قدر كبير من الدقة والتعقيد، وكشف هذا يحتاج إلى بسط القول في جوانب عديدة كي نتبين إلى أي مدى يسهم هذا الغرض في تفسير ظاهرة البناء للمجهول، وفي ما يلي بيان ذلك:

- جاءت في اللغة العربية استعمالات (فُعِلَ)، أو ما سمي بالمجهول مسنداً إلى مرفوعه مفسراً بالفعل نفسه على بناء (فَعَلَ) مسنداً إلى مرفوعه أيضاً نحو قولهم: "**أُسِرَ ذؤاب، أسره مرة**[133]".
- ويأتي بناء (فُعِلَ) مسنداً إلى مرفوعه مفسراً بفعل آخر في معنى الأول، كقولهم: **قُتِلَ النُعمان، رماه رجلٌ من أهل اليمن**[134]. ومثل هذين الاستعمالين لا يصح أن يقال فيهما: إن الإتيان بـ (فُعِلَ) على البناء للمفعول كان للجهل بالفاعل، فالمرسل يدري من هو الفاعل، ولذلك ذكره في الجملة الثانية المفسرة.

---

[132] حاشية الصبان 2م87ـ88.

[133] الأغاني 6/9.

[134] نقائض جرير و الفرزدق 151.

- وقد يأتي الفعل على (فُعِلَ) مسنداً إلى مرفوعه، وتأتي بعده قرينة تدل على الفاعل، وقد أطلق بعض المحدثين على هذا التركيب مصطلح (المبني للمجهول الكامل)[135] والصورة التي يظهر عليها هذا التركيب هي أنه لا بد للفاعل الحقيقي من أن يكون مجروراً بأحد حرفي الجر (مِن) أو (الباء)، وقد أحصى بعض الدارسين المواضع التي جر فيه الفاعل الحقيقي بـ (مِن) في القرآن الكريم فكانت ثلاثة وعشرين موضعاً كان في أكثرها المبني للمفعول من الجذر (نزل)، ومنها قوله تعالى: "آمن الرسولُ بما أُنزل إليه من ربه..[136]"، وقوله: " والذي أُنْزل إليك من ربك الحق"[137] أما ما جر بالباء فمنه قوله تعالى: " فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية[138]"، إذ يمكن أن يقال: فأما ثمود فأهلكتهم الطاغية.

وما يعنينا أن نقوله هنا هو أن الفعل المبني للمجهول الكامل لا يصح فيه القول: إنه بني على (فُعِلَ) للجهل بالفاعل، بل إن هذه الصور من تراكيب هذه الظاهرة ينتفي معها الحديث عن أغراض الفاعل أصلاً.

- ثمة نص لابن جني يذكر فيه أنه أُلغي الحديث فيه عن الفاعل ليس لأنه مجهول الغرض، بل لغرض آخر يهدف إليه المتكلم يقول: "**وقد يقول الإنسان: ضرب زيدٌ، وإنْ كان القائل هو الضارب، وهذا يدل على أن الغرض أن يعلم أنه مضروب , وليس الغرض أن يعلم منْ ضربه، ولذلك بني الفعل للمفعول، وألغي معه حديث الفاعل، فقام ذلك مقامه، ورفع رفعه، فهذا طريق مالم يسم فاعله**[139]" في مثل هذا يكون لقصدية المرسل أو المتكلم دور مهم، لكن هذه القصدية قد تخفى على المرسل إليه، فيحمل الفعل غرضاً لم يقصده المرسل.

---

[135] في الجمل المبنية للمجهول 43.

[136] البقرة 285.

[137] الرعد 1 , وانظر: في الجمل المبنية للمجهول ص 43 وما بعدها.

[138] الحاقة 5.

[139] المحتسب 104/1.

- قرئت بعض الأفعال على (فُعِلَ)، ويستبعد أن يكون جاءت كذلك للجهل بالفاعل، بدلالة أن الفعل نفسه قُرئ على (فَعلَ) مسنداً إلى الفاعل، وهذا ما يستفاد مما ذكره ابن جني في توجيهه لقراءة ابن مسعود: (فإذا نُزِل بساحتهم)[140]، قال: "لفظ هذا الموضع على الاستفهام، ومعناه وضوح الاختصاص، وذلك أن الغرض منه إنما هو: فإذا نَزلَ العذاب بساحتهم، ويدل عليه قبله (أفبعذابنا تستعجلون)؟ فإذا قال: "فإذا نُزِل بساحتهم " فلا محال أن معناه: فإذا نزل عذابنا بساحتهم، فأبهم الفاعل، واعتمد ذكر المكان المنزول فيه، ومثله في المعنى قوله سبحانه: (وخُلِق الإنسان ضعيفاً)[141] ونحن نعلم أن الله خالقه... فكذلك (فإذا نُزِل بساحتهم) على ما شرحناه من حاله، وهو أحد ما يدلك على أن إسناد الفعل للمفعول نحو (ضُرِب زيد) لم يكن لجهل المتكلم بالفاعل من هو ألبتة، لكن قد يسند الفعل إلى المفعول، ويطرح ذكر الفاعل لأن الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الضرب بزيد، ولا غرض معه في إبانة الفاعل من هو فاعرفه[142]".

وهكذا نرى أن العدول عن قراءة (فإذا نَزلَ بساحتهم)، وهي قراءة الجماعة، إلى قراءة (فإذا نُزِلَ بساحتهم) على بناء الفعل لغير الفاعل، هو قرينة دالة على أن العدول لم يقع لجهل المتكلم بالفاعل.

- وردت في القرآن الكريم أفعال مبنية للمفعول، ولا يمكن أن تأتي على هذا النحو للجهل بالفاعل بدلالة أن الأفعال ذاتها وردت مبنية للفاعل في سياقات متشابهة من القرآن الكريم، وقد تنبه إلى ذلك ابن جني وعبر عنها بجلاء، فقال: "**إن الفعل إذا بُنيَ للمفعول لم يلزم أن يكون للجهل بالفاعل، بل ليعلم أن الفعل وقع به، فيكون المعنى هذا لا ذكر للفاعل، الا ترى إلى قوله تعالى: (وخُلق**

---

[140] الصافات 77.

[141] النساء 28.

[142] المحتسب 2/229.

الإنسان ضعيفاً)[143]، وقوله: (خُلِقَ الإنسان من عجل)[144]، وهذا مع قوله عز وجلّ (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه)[145]، وقال: (خلق الإنسان من علق)[146]، فالغرض في هذا النحو المعروف الفاعل إذا بني للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسْب، وليس الغرض فيه ذكر منْ أوقعه[147]".

- إنني لا أنفي أن يكون بناء الفعل للمفعول ناتجاً عن جهل المتكلم بالفاعل، ومما يؤول هذا التأويل قوله تعالى على لسان ملكة سبأ: " أنه أُلقي إلي كتاب كريم[148]" فهي لا تعرف من ألقاه إليها، والقرينة الدالة على ذلك أن الإلقاء جرى على نحو غير معهود، وحامل الرسالة هدهد على ما هو معلوم.

وأميل إلى الاعتقاد بأن الأفعال التي بنيت للمجهول، وكانت في صفة اليوم الآخر من بعث ونشور وحساب وجزاء يجهل السامع أحداثها، سواء تلك التي ينتج عنها تبديل نظام الكون، كما في قوله تعالى: " إذا الشمس كُورت، وإذا النجوم انكدرت، وإذا الجبال سيرت، وإذا العشارعطلت..[149]" أو تلك التي تصف النعيم المقيم، أو العذاب الأليم..، ففي تلك الأحداث ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، واستخدام الأفعال المبنية للمجهول في أحداث اليوم الآخر ظاهرة أسلوبية، سوف نقف عندها بمزيد من التفصيل في مقام آخر.

- ثمة أفعال وردت في العربية مبنية للمفعول، وتنماز من غيرها بأنها جاءت عن العرب ملازمة للبناء للمفعول، ولم تستعمل مبينة للفاعل في فصيح الكلام، وقد أشار إليها غير واحد من أهل العلم، قال سيبويه: " **هذا باب ما جاء فُعِلَ منه على**

---

[143] النساء 28.
[144] الأنبياء 37.
[145] سورة ق 16.
[146] العلق 4.
[147] المحتسب 135/1.
[148] النمل 29.
[149] التكوير 1ـ4.

غير فَعلْتُه، وذلك نحو جن وسل وزكم..[150]" وقال ابن جني: "**نعم وأسند بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة، وهو قولهم:** أُولعت بالشيء، ولا يقولون: أولعني به كذا، وقالوا: ثُلِج فؤاد الرجل، ولم يقولوا: ثلجه كذا، وامتُقِع لونُه، ولم يقولوا:امتقعه كذا، ولهذا نظائر، فرفض الفاعل هنا البتة، واعتماد المفعول البتة دليل على ما قلناه[151]" قد أفرد ابن سيده (ت458هـ) في (مخصصه) بابا للأفعال الملازمة للمفعول بلغت /71/ فعلاً[152].

ما يعنينا قوله: أن هذه الأفعال لا صلة لبنائها بغرض الجهل بالفاعل، فلا إسناد لها مع الفاعل أصلاً، ولذلك يرى ابن جني في إسنادها قوةً تعدل إسناد الفعل إلى الفاعل، يقول: "**... فهذا كإسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة فيما لا يتعدى نحو: قام زيد، وقعد جعفر**[153]".

سعيت فيما تقدم إلى مناقشة غرض من أغراض بناء الفعل على (فُعِلَ)، وهو حذف الفاعل للجهل به، **وأستطيع أن أخلص إلى النتائج التالية:**

1. تبين أنه لا دخل لغرض (الجهل بالفاعل) في بناء(فُعِلَ) الذي فُسر بفعل مبني للمعلوم، أو في (الفعل المجهول الكامل)، وعندما يستعمل المتكلم الفاعل صيغة المبني للمجهول، وفي الفعل الذي قُرئ مجهولاً مرة، ومعلوماً مرة أخرى، وفي الفعل الذي استعمله القرآن الكريم في سياق واحد معلوماً ومجهولاً، وفي الأفعال التي لازمت صيغها البناء للمفعول، ففي هذه الأساليب كلها لم يكن الغرض منها الجهل بالفاعل، أو طيه عن عمد، وإنما تلك أساليب في التعبير تؤدي أغراضاً سأفصل القول فيها فيما بعد، وهذه الأساليب يصح فيها مصطلح (المبني للمفعول) أكثر مما يصح فيها مصطلح (المبني للمجهول)، ولعل هذا ما دعى (هنري فليش)

---

[150] الكتاب 67/4.

[151] المحتسب 65/1.

[152] المخصص 72/15ـ 73.

[153] المحتسب 284/2.

إلى القول: "وقد جرت العادة لدى المحدثين على إطلاق (المبني للمجهول) على (المبني للمفعول)، وهذه في الواقع تسمية خاطئة، لأن الفاعل لا يترك ذكره لعدم معرفته، وللجهل به دائماً وأبداً[154]"، واعتراض (فليش) على إطلاق تسمية (المبني للمجهول) إنما يكون في مواضع دون أخرى، وقد بينها في قوله:

"ولصيغة (فُعِلَ) بداهة فاعلها المجهول عند استخدامها استخداماً غير شخصي، في مثل (غُضِب عليها)، أما الاستعمال الشخصي في مثل (ضرب زيد)، فلما كان (زيد) في موقعه (مسنداً إليه) في الجملة، فإن الانتباه ينصب عليه، وتبرز فكرة المفعول به قليلاً أو كثيراً[155]".

2. استُعمِلت في القرآن الكريم بعض الأفعال التي طوي ذكر فاعليها للجهل بهم، والاهتداء إلى هذا النوع من الأفعال لايكون إلا بقرينة، وتبين أن الجهل بالفاعل قد يكون من المتكلم (كحال بلقيس)، وقد يكون من السامع وحده، وهذا لوحظ في الأفعال التي جاءت على (فُعِلَ) وكانت في صفة اليوم الآخر وأحداثه.
3. إذا كان النحاة في أغلبهم قد ربطوا وجود المبني للمفعول باطّراح ذكر الفاعل، فإن ما تقدم يدل على أن هذا التصور ليس صحيحاً، وواقع الحال في هذه الظاهرة ليس كذلك.
4. قد يتعجل بعض الدارسين في ربط غرض الجهل بالفاعل ببعض المواضع التي وردت في القرآن الكريم، فقد أول بعض الدارسين قوله تعالى: "ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً[156]" على أن مجيء (قُتِلَ) على (فُعِلَ)هو الجهل بالفاعل[157]، وهذا ليس بصحيح ؛ فالفعل حديث عن حكم المقتول، وحق وليه، وهو حكم له صفة الديمومة والاستمرارية، ولا يخص فاعلاً بعينه.

---

[154] العربية 144.

[155] العربية 143.

[156] الإسراء 33.

[157] دراسة في صيغ المبني للمجهول 197.

3. حذفه للعلم به:

حذف الفاعل للعلم به، ومن ثم بناء الفعل للمفعول هو غرض عند أكثر النحاة من مثل أبي حيان[158]، والسيوطي[159]، والصبان[160]، وآخرين[161]، وبعضهم يحدد أنه معلوم للمخاطب[162]، ومن الشواهد التي ذكرت على هذا الغرض قوله تعالى: (خُلِقَ الإنسان من عجل)[163]، وقوله تعالى: (خُلِقَ الإنسان ضعيفاً)[164] وبعضهم يورد الشاهد، ويتبعه شرحاً يقدر فيه الفاعل الذي حذِف، كقول السيوطي: " قد يترك الفاعل لغرض لفظي، أو معنوي كالعلم به، نحو: (كُتِب عليكم القتالُ)[165] للعلم بأن فاعل ذلك هو الله تعالى[166]".

وقد لوحظ شيوع هذا الغرض في الخطاب الديني ذلك أن الفاعل المعلوم هو الله عز وجل غالباً، من ذلك مثلاً الحديث عن رزق الآخرة، ورزق الدنيا، من خلال الفعلين الماضيين (رزقوا) و(رزقنا)[167]، وكلاهما مبني للمفعول للعلم بالفاعل، إذ الرزاق هو الله تعالى، ويشير أولهما إلى الرزق في الجنة، والثاني يشير إلى رزق الدنيا.

كما لوحظ شيوعه في الأفعال الملازمة للبناء للمفعول، الدالة على الأدواء، وهذا ما بينه الرضي حين قال: " وقد جاء في كلام بعض الأفعال على ما لم يسم فاعله، ولم يستعمل منه المبني للفاعل، والأغلب في ذلك الأدواء، ولم يذكر فاعلها لأنه من

---

[158] ارتشاف الضرب 184/3.
[159] همع الهوامع 518/1-519.
[160] حاشية الصبان 87/2-88.
[161] أسرار النحو 101.
[162] أسرار النحو 101، و معاني النحو 71/2.
[163] لأنبياء 37.
[164] النساء 28.
[165] البقرة 216.
[166] همع الهوامع 518/1-519.
[167] البقرة 25.

المعلوم في غالب العادة أنه هو الله تعالى، فحذف للعلم به، كما في قوله تعالى: (وقيل: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي، وغيض الماء، وقُضِي الأمر[168])[169].

وكلام الرضي يدل على أن الفاعل معروف بداهة، حاضر في الذهن حضوراً قوياً بحيث إنه ليس ثمة مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلّت قدرته فاعل الأشياء[170].

خلاصة ما تقدم أن حذف الفاعل للعلم به، وبناء الفعل للمفعول غرض قصد إليه المرسل، ولم يخف على المرسل إليه. ولا أعتقد أن الركون إلى هذا المذهب يفي بالمراد، ويحقق الغاية بدليل أن ابن جني يرى في هذه المواضع غرضاً آخر غير الذي ذُكِر، فهو مثلاً يفرق بين غرض (خَلَقَ) وغرض (خُلِقَ) بقوله: " **فالغرض في هذا النحو المعروف الفاعل إذا بني للمفعول إنما هو الإخبار عن وقوع الفعل به حسْب، وليس الغرض فيه ذكر منْ أوقعه**[171]".

وفوق هذا كله لا بد من ملاحظة سياقات الفعل ما كان الفعل فيها على (فَعَل) وما كان على (فُعِلَ) من الجذر الواحد عند دراسة هذا الغرض في القرآن الكريم لأنه نص تتكامل سياقاته وتتعاضد، وكل موضع له صلة بغيره من المواضع على نحو ما، وله إسهامه في بناء النص.

4. حذفه للخوف:

هو خوف من الفاعل، أو خوف عليه، فيستر ذكره[172]، ومن أمثلة الخوف منه، قولك: هُدِم البناء، وأنت تعلم الفاعل، فلا تذكره خوفاً من أن ينالك بأذى.. ومن أمثلة الخوف عليه قولك: قُتِلَ زيد، ولم تذكر فاعله خوفا من أن يؤخذ بقولك.

---

[168] هود 44.

[169] شرح الكافية 134/4.

[170] المبني للمفعول 89.

[171] المحتسب 135/1.

[172] همع الهوامع 518/1.

ولم أجد النحويين يذكرون شاهداً على هذا الغرض من القرآن الكريم، ويبدو أن هذا الغرض تؤثر فيه قصدية المرسل فيحتاط في رسالته.

5. حذفه للتعظيم:

ويكون لجلالته[173]، ويتحقق بعدم ذكر الفاعل على الألسنة صيانة له، ومما أول كذلك قوله تعالى: " قُتِلَ الخراصون[174]"، فلم يذكر اسمه تعالى مع (الخراصين)، وهم الكذابون الذين يصدرون في أقوالهم عن ظن وتخمين. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: "وما أُنْزِل على الملكين هاروت وماروت[175]، فقد حذِف الفاعل للتفخيم والتعظيم.

6. حذفه للتحقير:

وهو أن يهمل المرسل ذكر الفاعل إهمالاً مقصوداً، أو تحقيراً له ومراعاة لمشاعر المرسل إليه الذي يكره سماع لفظ الفاعل[176]، ومن الأمثلة قولهم: طُعِن عمر، وقُتِل الحسين، وأُوذي بلال. ومما يؤول هذا التأويل قوله تعالى: (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئِلَ موسى من قبل)[177]، فالفاعل معلوم، وهو قوم موسى ولم يصرح بذكر الفاعل تعففاً عن ذلك، وتحقيراً من شأنه[178], وقد يعبرون عن هذا الغرض بمصطلح الدناءة، قال ابن يعيش:

"وقد لا يذكر الفاعل لدناءته نحو قولك: عمِلَ الكنيف، وكُنِس السوق[179]".

7. حذفه للإبهام:

أي للإبهام على المرسل إليه، كقول مخفي صدقته: تُصدق اليوم على مسكين[180] وذلك بتأثير تعاليم الدين الحنيف التي تدعو إلى إخفاء الصدقة مراعاة لمشاعر

---

[173] شرح المفصل 70/7.
[174] الذريات 16.
[175] البقرة 102.
[176] انظر: حاشية الصبان 87/2.
[177] البقرة 108.
[178] الفعل في سورة البقرة 108.
[179] شرح المفصل 69/7ـ 70.
[180] حاشية الصبان 87/2.

المتصدق عليه. ومن هذا الغرض قول المتكلم: "أُهين متكبر، فلا يريد إظهار نفسه تواضعاً[181].

8. عدم تعلق غرض بذكره:

أول ما يلاحظه الدارس لهذا الغرض أن الأقوال جاءت فيه مضطربة، ومظاهر الاضطراب تتجلى فيما يلي:

- تداخل هذا الغرض في أذهان بعض أهل العلم بأغراض أخرى؛ فابن يعيش مثلاً ربطه بالإيجاز والاختصار، فقال: " وقد يترك الفاعل إيجازاً واختصاراً، لأنه يكون غرض المتكلم الإخبار عن المفعول لا غير، فترك الفاعل إيجازاً للاستغناء عنه[182]." السيوطي ربطه بالإبهام، فقال: " أو قصد إبهامه بأن لا يتعلق مراد المتكلم بتعينه[183]".
- النصان السابقان يبينان أن هذا الغرض مراد المتكلم ومقصده، وإذا صح هذا وهو صحيح، فلا يصح ما ذهب إليه بعض الدارسين من أن هذا الغرض إنما جاء كذلك تحقيقاً لمراد السامع، قال: ".. وذلك إذا كان السامع لا غرض له في ذكر الفاعل، بل يكون متعلقاً بالمفعول لا غير، وأن الفاعل لا يهمه في شيء، مثل قوله: (هذه بضاعتنا ردت إلينا[184]")[185].
- يفهم من كلام ابن جني أن ظاهرة البناء للمفعول إنما تستند على هذا الغرض، فهو يرى أن غياب الفاعل، أو عدم تسميته، ومن ثم بناء الفعل للمفعول يؤول بالضرورة إلى أن عناية المتكلم انصرفت عن الفاعل إلى المفعول، وقد عبر عن ذلك في مواضع كثيرة، منها قوله:

---

[181] معاني النحو 70/2.

[182] شرح المفصل 70/7.

[183] همع الهوامع 518/1.

[184] يوسف 65.

[185] المبني للمجهول و تراكيبه ودلالته في القرآن الكريم 24.

"كذلك قولهم: ضرب زيد، إنما الغرض منه أن يعلم أنه منضرب، وليس الغرض أن يعلم من الذي ضربه، فإن أريد ذلك، ولم يدل عليه دليل، فلا بد من أن يذكر الفاعل، فيقال: ضرب فلان زيداً..[186]" قوله: "وقد يسند إلى المفعول، ويطرح ذكر الفاعل، لأن الغرض إنما هو الإعلام بوقوع الضرب بزيد، ولا غَرض له في إبانة الفاعل من هو[187]".

على هذا فإن حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض بذكره غرض له صفة العموم عند ابن جني، غير أن الأمر ليس كذلك عند الشيخ خالد الأزهري، فما يفهم من كلامه أن هذا الغرض يكون في مواضع دون أخرى، قال:

".. أو لغرض معنوي، كأن لا يتعلق بذكره غرض، أي قصد، نحو: (فإن أُحصِرتم)[188]، (وإذا حييتم)[189]، (وإذا قيل لكم تفسحوا)[190]، إذ ليس الغرض من إسنادها إلى فاعل مخصوص، بل إلى أي فاعل كان[191]" في الآية الأولى نرى أنه لا يتعلق غرض بذكر (المحصر)، إذ لو كان فاعلاً بعينه لتوهم أن هذا الحكم مختص بهذا الفاعل دون غيره، وحذف الفاعل في الآية الثانية (وإذا حييتم..) لأنه لا يتعلق غرض بذكره، والمعنى: التزموا بآداب التحية أياً كان المحيي، وفي الآية الثالثة (وإذا قيل لكم..) طلب الالتزام بما قيل أياً كان القائل.

أغراض أخرى:

هذا الذي تقدم ذكره من أغراض للفعل المبني للمجهول هو جل ما جاء به أهل النحو، ولدى البحث في آثار اللغويين والبلاغيين والمفسرين تبين أن ثمة أغراضاً

---

[186] المحتسب 66/1، و انظر 104/1، 135.
[187] المحتسب 229/2.
[188] البقرة 196.
[189] البقرة 86.
[190] هود 11.
[191] شرح التصريح 286/1.

أخرى متناثرة في تلك الآثار تحتاج إلى من يجمع شتاتها ويخضعها للدرس والتمحيص، نشير إليها فيما يلي:

أ ـ دلالة الفعل المجهول على التعدد:

ثمة فرق بين الفعل المبني للمعلوم، والفعل المبني للمجهول، وهو أن الإسناد مع المبني للمعلوم واضح بين محدد في الأغلب الأعم، ففي قوله تعالى: "وإذا قال ربك للملائكة..[192]"، فقد أسند القول إلى فاعل محدد، وهو (ربك).

أما الإسناد مع المبني للمجهول في بعض صيغه فهو يفيد التعدد، ومما يستشهد به قوله تعالى: ".. وإذا قيل لا تفسدوا..[193]"، وقوله تعالى: " وإذا قيل لهم آمنوا..[194]"، فالبناء للمجهول في (قيل) يدل ـ فيما يعتقد ـ على أن النهي (لا تفسدوا)، والأمر (آمنوا) كانت مصادرهما متعددة ؛ فهما من الله سبحانه، وقد يكونان من الرسول صلى الله عيه وسلم، أو من المؤمنين على سبيل النصح[195]. كذلك قد يكون الفعل (يوعظُ)[196] مبنياً للمجهول لتعدد الواعظين، وجاء مضارعاً لإفادة عدم انقطاع الحدث[197].

وبني الفعل (أُحصِرتم)[198] للمجهول لتعدد أسباب الإحصار، فاستغني ببنائه للمجهول عن ذكرها، وليدل على عموم الإحصار ومطلقه.

وتعقد الآية: " وإذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم[199]" على الشرط وفعله (قيل) الذي جاء مبنياً للمجهول لتعدد القائلين أو الناصحين[200].

---

[192] البقرة 30.
[193] البقرة 11.
[194] البقرة 12.
[195] الفعل في سورة البقرة 14ـ15.
[196] البقرة 232.
[197] الفعل في سورة البقرة 184.
[198] البقرة 196.
[199] البقرة 206.
[200] الفعل في سورة البقرة 178.

ومن هذا أيضاً قوله تعالى: " فمن اضطّر[201]" الذي جاء مبيناً للمجهول للتعميم، ولو جاء مبنياً للمعلوم لطال التركيب دون أن يتم حصر أحوال الاضطرار.

مما تقدم يتبين أن الفعل المبني للمجهول قد يفيد الدلالة على تعدد القائلين، أو الآمرين، أو الناصحين، أو الواعظين...، وهذا أحد ما يستدل به على أن السياق القرآني أكسب الفعل المبني للمجهول ثراءً ونماءً في قيمته التعبيرية، وهذا أحد الوجوه التي يفترق بها المبني للمجهول عن المبني للمعلوم.

ب ـ دلالته على الاستقرار والثبات: ويأتي الفعل المبني للمجهول ليفيد ثبوت الحكم مع عموميته، ومما أُول كذلك قوله تعالى: " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون[202]"، فالفعل المضارع (يقْتَلُ) يدل على ثبوت الحكم وعموميته لكل من يقتل دون التقيد بزمن بعينه، ولو عبر بالماضي (قُتِلَ) لظُن أنه خاص بما مضى من غير أن ينسحب على الحاضر، ولذلك فإن الفعل (يقْتَلُ) يدل على من (قُتِلَ) ومن (يقتل) ومًن (سيقتُل). وبني الفعل للمجهول، ولم يشر إلى القاتل، وهو الفاعل، لأن هذا القتل مقدر على من يقتل[203].

ومما يدلّ على ثبوت الحكم واستمراريته قوله تعالى: " ضُرِبَتْ عليهم الذلة والمسكنة[204]"، فالتركيب يدل على استمرارية الذلة والمسكنة وثبوتها، وورد الفعل على (فُعِلَ) يحتمل أن الله عز وجل كره أن يسند إليه الذلة والمسكنة صراحة، كما يحتمل الإشارة إلى غموض المصير والمجهول اللذين ينتظران بني إسرائيل[205].

وإذا كان أكثر ما جاء صلة للاسم الموصول (الذي ـ الذين) أفعالاً مضارعة، فقد جاء التعبير بالماضي في ثنايا ذلك للدلالة على الثبات والاستقرار، ومن ذلك

---

[201] البقرة 127.
[202] البقرة 154.
[203] انظر: الفعل في سورة البقرة 140.
[204] البقرة 61.
[205] الفعل في سورة البقرة 65ـ 66.

قوله تعالى: "**.. بما أُنزل إليك، وما أُنْزِلَ من قبلك**[206]"، ففي الفعلين دلالة على الثبات والاستقرار، وإشارة إلى عظم المنزل والمنزل، وفي تكرار الفعل المجهول تأكيد وتنبيه على وجوب الإيمان بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وما أُنزل من قبله من كتب سماوية.

وكذلك فإن في الفعل (أؤتمن) من قوله تعالى: " **فليؤد الذي أؤتمن أمانته**[207]" يفيد استقرار الأمانة وثبوتها لديه، وهذا التعبير أبلغ في الدلالة على المعنى مما لو جاء الفعل مبنياً للمعلوم، كأن يقال: فليؤد الذي ائتمنه غيره أمانته.

ج ـ الدلالة على معنى التعميم والتهويل:

وقد يستفاد من جملة المبني للمجهول (الفعل ونائب الفعل) معنى التعميم والتهويل، فكذلك أُول قوله تعالى: "ولا يقبل منها شفاعة[208]"، فدلالة الفعل المجهول مع مرفوعه هنا هو التعميم والتهويل، وقد أسهم في ذلك تنكير (شفاعة)، ودلالة النكرة أوسع على ما هو معروف.

ومثل هذا يفهم من قوله تعالى: (ولا يؤخذ منها عدل)[209]، ونُكرت (عدلٌ) كما نُكّرت شفاعة للغرض نفسه، وكان الفعلان (يقْبلُ) و(يؤْخَذُ) مضارعين لأن الحديث عن يوم الحساب، والتعبير بالمجهول عن أحداث اليوم الآخر ظاهرة أسلوبية مطردة على ما سوف نبين في مقام آخر.

ويتوصل إلى مقصد التعميم بوسائل منها الموصول وفعله المبني للمجهول نحو: "**إذ تَبرأ الذين اتبعوا..**[210]" هؤلاء يمكن أن يكونوا من الشركاء، أو أصحاب

---

[206] النساء 60.
[207] البقرة 283.
[208] البقرة 48.
[209] البقرة 48.
[210] البقرة 166.

الفتن، أو المضلين، أو المغوين، أو من غيرهم، ولكن الآية لم تحدد واحدة أو أكثر من هذه الطوائف، وإنما عممت بذكر الموصول ليشملها جميعاً دون واحدة[211].

د ـ الدلالة على هول الحدث وتأكيد وقوعه:

ومما يفيد هذه الدلالة قوله تعالى: (وقُضِي الأمر)[212]، أي تم وانتهى، فبناؤه للمجهول يدل على هول الأمر وجسامته، وكما أن الزمن يرتبط بالمستقبل، وإن كان التعبير جرى بالماضي، وهذا ما أوضحه الشوكاني حين قال: "وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكأنه قد كان[213]".

هـ ـ الدلالة على الالتزام والحتم والوجوب:

وقد يستفاد من صيغة (فُعِلَ) معنى الالتزام والحتم والوجوب، ومما يؤول كذلك قوله تعالى (كُتِب)[214]، وقرينة ذلك أنه تعدى بالحرف (على) لأنه ضمن معنى (فُرِض) الذي يتعدى بهذا الحرف.

ويتصدر الفعل (أُحِلَّ)[215] الآية، وصدارته تعني تمحور معظم الآية حول الفعل، والمضي فيه على أنه حكم قطعي[216].

و ـ الدلالة على الاستمرارية:

وقد تأتي بعض الأفعال من هذا الباب لإفادة معنى الاستمرارية، ومن ذلك الفعل (يعمر)[217]، فهو مضارع مبني للمجهول، وهو أليق بالدلالة على استمرارية الحياة وطولها، ولو عبر بالماضي (عمر) لدل على الانقطاع. ومن هذا قوله تعالى: " أن

---

[211] البيان في روائع القرآن 492ـ 493.
[212] البقرة 210.
[213] فتح القدير 313/1.
[214] البقرة 246.
[215] البقرة 178.
[216] الفعل في سورة البقرة 169.
[217] البقرة 96.

يذكر فيه اسمه[218]"، فقد جاء الفعل المبني للمجهول بصيغة المضارع (يذكر) لأن الذكر لا ينقطع.

ز - الدلالة على الاستحياء:

وذلك كما في قوله تعالى: " لم يؤْتَ[219]"، فهو يعني لم يعطَ، وورد مبنياً للمفعول للعلم بالفاعل، قالوا: (لم يؤت)، كأنهم استحيوا أن يقولوا: لم يؤته الله[220]".

ح - الدلالة على الدعاء:

وقد يستفاد من الفعل المجهول معنى الدعاء، فقد ذكر بعض أهل التفسير أن الفعل في قوله تعالى: " غُلت أيديهم[221]"، يفيد الدعاء على اليهود بشر، وقد قيل: إنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء، وقيل هذا دعاء عليهم بالبخل، فيكون الجواب مطابقاً لما أرادوه بقولهم: " يد الله مغلولة[222]". وكذلك أول قوله تعالى: " ضربت عليهم الذلةُ[223]"، بمعنى الدعاء، أي فلتضرب عليهم الذلة[224].

ط - الدلالة على الإبهام والتنبيه:

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: " وقيل الحمد لله رب العالمين[225]"، فذكروا أن (قيل) هو قول المؤمنين، أو الملائكة[226]. وأعتقد أن وراء بناء الفعل (قيل) للمجهول غرضاً أبعد من معرفة مَن القائل، وهو التنبيه على غرض مقصود، وقد عبر عنه الفخر الرازي خير تعبير، حيث قال: "**وفي قوله تعالى:** (وقيل: الحمد لله رب العالمين) دقيقة أخرى، وهي أنه لم يبين ذلك القائل من هو، والمقصود من هذا

---

[218] البقرة 114.
[219] البقرة 247.
[220] الفعل في سورة البقرة 204.
[221] المائدة 64.
[222] فتح القدير 1/ 83.
[223] آل عمران 112.
[224] البيان في روائع القرآن 61.
[225] الزمر 75.
[226] انظر:تفسير القرطبي 375/1، و فتح القدير 4/ 672، وتفسير أبي السعود 478/4.

الإيهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء، ليس إلاّ أن يقولوا: الحمد لله رب العالمين، وتأكّد هذا بقوله تعالى: "دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين[227]".

ويعزز ما سبق ذكره هو أن دلالة صيغة المبني للمجهول على التنبيه أشار إليها الراغب الأصفهاني غير مرة، ومن ذلك أنه أورد قوله تعالى: "ينادون من مكان بعيد[228]"وقال: "فاستعمال النداء فيهم تنبيهاً على بعدهم عن الحق[229]" وقد أشار النحاس إلى شيء قريب من هذا في قوله: " ينادون من مكان بعيد " على التمثيل ؛ أي لا يتفهمون ما يقال لهم، والعرب تقول لمن يتفهم: هو يخاطَب من مكان قريب[230]".

ومن ذلك أيضاً أن الراغب الأصفهاني يرى في تجاور صيغتين من المبني للمجهول منبهة على غرض معين، فهو يورد قوله تعالى: " ويقول الذين آمنوا لولا نُزلت سورةٌ، فإذا أُنزلت سورةٌ محكمةٌ وذُكِر فيها القتال، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نَظَر المغْشي عليه من الموت[231]"، ويعقب عليه بقوله: "فإنما ذكر في الأول (نُزل)، وفي الثاني (أُنْزل) تنبيهاً على أن المنافقين يقترحون أن ينَزل شيء فشيء من الحث على القتال ليتولوه، وإذا أُمروا مرة واحدة تحاشوا منه فلم يفعلوه، فهم يقترحون الكثير، ولا يفون إلا بالقليل[232]".

ط - إفادته الإيهام أو الإنكار:

وقد يأتي الفعل المجهول مفيداً الإيهام، كما في قوله تعالى: "ولولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[233]"، فإيراد الفعل (نُزل) على صيغة المجهول

---

[227] مفاتيح الغيب 488/13، و الآية هي العاشرة من سورة يونس.
[228] فصلت 44.
[229] المفردات 487.
[230] اعراب القرآن للنحاس 65/4.
[231] محمد 20.
[232] المفردات 490.
[233] الزخرف 31.

للإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل، كما يحتمل توجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل[234].

ي ـ إفادته التضاد:

قد يرد الفعل المجهول في سياق ضدي فيكسب العبارة قيمة تعبيرية بينة، وشاهد ذلك قوله تعالى: "الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، أولئك هم الخاسرون[235]" فالفعل (يوصل) جاء مبنياً للمجهول بعد الفعل (يقطعون) المسند إلى الخاسرين، وثمة تضاد معجمي بين الفعلين ؛ فالقطع نقيض الوصل، والوصل خير، والقطع شر، وأهل الشر في السياق معلومون، وأهل الخير مجهولون، ولكل صيغة فعل مناسبة وهذا الذي تقدم يأتي ضمن ظاهرة أوسع هي أن الفعل يبنى للمجهول إذا كان دالاً على نعمة أو رحمة أو خير، وكان مجاوراً لأفعال معلومة دالة على سوء أو شر أو نقمة وهذا ما ظهر في الشاهد الذي سبق ذكره، ويظهر في قوله تعالى: " فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون[236]" فدلالة الفعل (قيل) المجهول تنصرف على ما أعتقد إلى ما أنزل الله من هدى ورحمة، وقد سبقه فعل الذين ظلموا، وأعقبه جزاء من الله بما ظلموا.

مما تقدم يتبين أن للفعل المجهول أغراضاً أخرى غير تلك التي أشار إليها النحاة، وهي دلالة الفعل المبني للمجهول على تعدد الفاعلين، والاستقرار والثبات، والتعميم، والتهويل، والتأكيد،والاستمرار، والدعاء، والإبهام، والتنبيه، والإيهام، والإنكار، والتضاد، ولا أريد أن أختم الحديث عن هذه الأغراض من غير أن أعقّب عليها بما يلي:

---

[234] انظر تفسير أبي السعود 215/3.

[235] البقرة 27.

[236] البقرة 59.

ـ إن بعض المواضع للفعل المجهول تحتمل الدلالة على غير غرض، **من ذلك قوله تعالى:**

"**ولا تسألون عما كانوا يعملون**[237]"؛ فبناء الفعل (تسألون) للمجهول إما للعلم بالسائل، وإما للتجهيل والتهويل، وإما للأمرين معاً[238].

وقوله تعالى: " لا تُكلف نفس[239]" فحذف الفاعل ـ وهو الله عز وجل ـ للعلم به، والفعل المجهول يفيد معنى العموم والشمول[240].

ـ وقد يفيد الفعل المجهول غرضاً دلّت عليه القرائن، وملاحظة العلاقات السياقية، فالفعل (كُتِب) في قوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا كُتِب عليكم الصيام..[241]" يفيد الأمر وإن جاء بصيغة الماضي المجهول، والقرينة الدالة على الأمر هو النداء، وأقصد قوله تعالى: " ياأيها الذين آمنوا " فهذا النداء يعقبه في القرآن الكريم أمر يؤمر به المنادون، أو نهي ينهون عنه، روي عن الحسن البصري (ت 110هـ) أنه قال: " إذا سمعتَ الله يقول: ياأيها الذين آمنوا فأرع لها سمعك، فإنها لأمر تؤمر به، أو لنهي تنهى عنه[242]".

ـ إذا كان أهل النحو يقررون أن العرب يعبرون بالفعل عن أمور أربعة هي: وقوعه، ومشارفته، وإرادته، والقدرة عليه[243]، فإن الأغراض التي عبر عنها بالفعل المجهول مما عرضنا له لهي أكثر مما قرره النحاة، وهذه الكثرة تدل على أن اللغة العربية شهدت نماءً وثراء في هذه الظاهرة، وتجلى ذلك في نصوصها الفصيحة، ولاسيما في القرآن الكريم.

---

[237] البقرة 134.

[238] الفعل في سورة البقرة 127.

[239] البقرة 233.

[240] انظر: الفعل في سورة البقرة 196.

[241] البقرة 182.

[242] الغنية 3/2.

[243] مغني اللبيب 903ـ904.

- إن الدارس ليجد في أقوال المحدثين مايسهم في فهم هذه الظاهرة والمجالات الحيوية لأغراضها , فقد لاحظ (فندريس) أن المبني للمجهول يعبر في الغالب عن حدث تحقق وانتهى[244], أما (بالمر) فقد لاحظ أن البناء للمجهول يستخدم في الكتابات العلمية , وعلى وجه الخصوص في تقارير الفحص للعمل التي ينبغي فيها وصف الشخص وصفا موضوعياً دون التطرق إلى ذكر الفاعل لأنها الوسيلة العلمية الأكثر فائدة حتى لاتقدم معلومات غير متعلقة بالأمر , أوغير مرغوب فيها[245].

خاتمة:

بعد أن عرضنا لظاهرة البناء للمجهول في اللغة العربية أهمية ومصطلحاً وأغراضاً, نخلص إلى النتائج العامة التالية:

- احتفظت العربية الفصحى بظاهرة المبني للمجهول على نحو متفرد بالمقارنة مع شقيقات العربية , كالعربية الجنوبية , والآرامية , والعبرية...
- دل البحث في ظاهرة المبني للمجهول ولاسيما في النصوص الفصيحة على قدرة العربية الفائقة على استخدام أفعال هذه الظاهرة استخداماً يظهر حيوية العربية, وفي هذا رد على من اتهم كفاية هذه اللغة في الوفاء بمتطلبات التعبير.
- إن اللغة العربية غنية بالأفعال المبنية للمجهول, وهذا الغنى ينوع معاني الفعل تنويعاً مميزاً.
- كثرت المصطلحات الدالة على الفعل المبني للمجهول, فقد أنافت على عشرة, ومثل هذا يقال في المصطلحات الدالة على النائب عن الفاعل. وقد أسهم في هذه الكثرة اللافتة للنظر العمر المتطاول للعربية, وتطور المصطلح, والمبادرة إلى الاختراع والاصطناع.

---

[244] اللغة 141.

[245] انظر: صيغة المبني للمجهول 15.

- صوب البحث بعض الأفكار المغلوطة, منها أن مصطلح المبني للمجهول قديم نسبياً, وليس صحيحاً أنه جاء بآخرة.
- جلاّ البحث أغراض الفعل المبني للمجهول التي أشار إليها النحويون عرضاً, وتحليلاً, ومناقشة.
- رصد البحث أغراضاً أخرى للفعل المبني للمجهول, استُدل بها على أن السياق أكسب الفعل نماء وثراء في قيمته التعبيرية, فدل على التعدد, والاستقرار, والثبات, والتعميم والحتم, والوجوب...وغير هذا.

مصادر البحث ومراجعه

أولا ـ الكتب المطبوعة:

ـ القرآن الكريم.

ـ اتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل , للشيخ محمد بن علان الصديقي الشافعي ـ بيروت 1987 م ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي (ت 745هـ ـ)، تحقيق الدكتور مصطفى النماس ـ القاهرة 1989 م.

ـ أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505 هـ ـ) تحقيق عبد القادر أحمد العطار ـ دار الاعتصام.

ـ أسرار النحو لشمس الدين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا، تحقيق الدكتور أحمد حسن حامد ـ نابلس 2002 م.

ـ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب، لعباس محمودالعقاد - القاهرة (الطبعة السادسة).

ـ الأصول في النحو، لابن السراج،تحقيق د.عبد الحسن الفتلى ـ بيروت 1405هـ ـ.

ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه (الحسين بن أحمد) (ت 370 هـ ـ) ـ القاهرة 1360 هـ ـ 1981 م.

ـ الإعراب عن قواعد الإعراب، لابن هشام، تحقيق علي فودة نيل ـ الرياض 1985 م.

ـ إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت 338 هـ ـ)، تحقيق د.زهير غازي زهد ـ القاهرة.

ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ـ بيروت.

ـ الأفعال لأبي عثمان المعافري السرقسطي, تحقيق د. حسين محمد محمد شرف- القاهرة 1975 م.

- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت 616 هـ) بيروت 1979 م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة 1967 م
- البيان في روائع القرآن، للدكتور تمام حسان ـ القاهرة 1993 م.
- بحوث لغوية ,للدكتور أحمد مطلوب ـ عمان 1987 م.
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد, لابن مالك, تحقيق محمد كامل بركات- القاهرة 1968م
- التطور النحوي للغة العربية , لبرجشتراسر, أخرجه و صححه وعلق عليه , الدكتور رمضان عبد التواب 1997 م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم), طبع دار الفكر, بيروت.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن), لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671 هـ) ـ القاهرة 1967 م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك, للشيخ محمد بن علي الصبان الشافعي (ت1206 هـ)- ضبطه وصححه إبراهيم شمس الدين - بيروت.
- در اسات مقارنة بين العربية والعبرية للدكتورة سلوى ناظم الدبوسي ـ القاهرة.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم , لمحمد عبد الخالق عضيمة ـ القاهرة.
- ديوان عنترة , تحقيق عبد المنعم شلبي ـ المكتبة التجارية.
- شرح التصريح على التوضيح , للشيخ خالد الأزهري - طبعة الحلبي- القاهرة.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـالقاهرة 1965 م.

ـ شرح قطر الندى وبل الصدى, لابن هشام, تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ بيروت 1998 م.

- شرح الكافية في النحو , للرضي الاسترا باذي , تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر.

ـ شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت643 هـ) - بيروت - القاهرة.

ـ العربية الفصحى , لهنري فليش , ترجمة الدكتور عبد الصبور شاهين ـ بيروت 1966م

ـ الغنية, للشيخ عبد القادر الجيلاني ـ دمشق (دون تاريخ).

ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1255 م), تحقيق سيد إبراهيم بن صادق بن عمران ـ القاهرة 1993 م.

ـ فصول في فقه اللغة العربية , للدكتور رمضان عبد التواب ـ القاهرة 1980 م.

ـ الفعل دراسة مقارنة, للدكتورة سلوى ناظم الدبوسي ـ القاهرة.

ـ الفعل زمانه وأبنيته, للدكتور إبراهيم السامرائي ـ بيروت 1986 م.

ـ الفعل في سورة البقرة, دراسة لغوية , للدكتور فتح الله أحمد سليمان- القاهرة 1997 م

ـ فقه اللغات السامية, لكارل بروكلمان, ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ـ الرياض 1977 م.

ـ الكتاب , لسيبويه, تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة 1966ـ 1977 م.

ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, للزمخشري.

ـ اللسان (لسان العرب) لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم ـ بيروت.

ـ المبني للمجهول في الدرس النحوي, للدكتور محمود سليمان ياقوت ـ الإسكندرية.

ـ المبني للمجهول وتراكيبه ودلالته في القرآن الكريم, للدكتور شرف الدين الراجحي -الإسكندرية 1999م

ـ متشابه القرآن, للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني (ت 415 هـ), تحقيق عدنان محمد زرزور ـ القاهرة.

ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات , والإيضاح عنها , تحقيق علي النجدي ناصيف, وعبد الحليم نجار , وعبد الفتاح شلبي ـ القاهرة 1386 ـ 1389 هـ.

ـ المخصص، لابن سيده علي بن إسماعيل ـ بيروت، دون تاريخ.

ـ المدخل إلى علم اللغة، لمحمود حجازي ـ القاهرة 1982م.

ـ المصطلح النحوي نشأته و تطوره حتى القرن الثالث الهجري، للدكتور عوض القوزي ـ الرياض1981م.

ـ معاني القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة)، تحقيق الدكتور فائز فارس ـ 1981م.

ـ معاني القرآن, لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء _ بيروت 1983م.

ـ معاني النحو, للدكتور فاضل السامرائي ـ عمان 2000م.

ـ معجم المعاجم، لأحمد الشرقاوي إقبال ـ بيروت 1987م.

ـ مغني اللبيب لابن هشام تحقيق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ـ بيروت 1997م.

ـ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للرازي (فخر الدين محمد بن عمر) ـ القاهرة 1389هـ.

ـالمفصل في علم العربية، للزمخشري أبي القاسم محمود بن عمر ـ بيروت.

ـ المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت 502هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني ـ بيروت.

ـ المقتصد في شرح الإيضاح , لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان.

- من بلاغة القرآن، للدكتور أحمد أحمد بدوي ـ القاهرة 1950م.
- المنصف، لابن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ـ القاهرة 1954م.
- النحو الوافي، لعباس حسن ـ القاهرة (الطبعة الثالثة).
- النقائض بين جرير و الفرزدق لأبي عبيدة، تصحيح إسماعيل الصاوي ـ القاهرة 1936م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع, لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين ـ بيروت.

* ثانيا ـ المصادر الأجنبية:

1- Andersen , Francis, i
Passive and ergative in hebrew, aus: h.goedieke (ed), near eastem studies in bonor of w. f. albrimore, 1979.

2- Bartin , g
Suggestions on the voic formation of the semitic verb jornal of royel asiatic socity, volume fifteen , london ,1883.

ثالثا ـ الدوريات:

- مجلة كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , لعام 1973 م , ولعام 1995 م.
- المجلة العربية للعلوم الإنسانية , العدد 31 , المجلد 8 لعام 1988 م.

رابعا ـ المخطوطات:

- صيغةالبناء للمجهول في اللغة العربية, أصولها وتطورها, رسالة ماجستير في اللغويات إعداد محمد محمود السيد حمودة, إشراف الدكتور رمضان عبد التواب ـ 1983 م, مكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس برقم 26341.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2004/4/28.